جامعة المنصورة
كلية التربية

الأسس الحاكمة للخطاب الديني من هدايات القرآن الكريم

إعداد

د/ عبد الرحمن عبد الغني محمد النجولي الجمل
مدرس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية ـ جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢٣ – يوليو ٢٠٢٣

الأسس الحاكمة للخطاب الديني
من هدايات القرآن الكريم

د / عبد الرحمن عبد الغني محمد النجولي الجمل
مدرس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية . جامعة المنصورة

مستخلص:

يهدف هذا البحث إلى استنباط الأسس الحاكمة للخطاب الديني في ضوء القرآن الكريم من خلال استقراء نصوص القرآن مع الاستعانة بالتفسير والسنة النبوية، وتم تقسيم البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، تضمنت المقدمة: أهمية الموضوع ومنهج العمل فيه، والمبحث الأول: الأسس الحاكمة للخطاب الديني المستنبطة من القرآن الكريم، والثاني: الخطاب الديني في واقعنا المعاصر ــ عيوب وحلول، والخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته، ومنها وجود أسس حاكمة للخطاب الديني الإسلامي تضمن اعتداله وتنوعه، وعدم الغلو، وتقبل الآخر.

كلمات مفتاحية: *الأسس؛ الخطاب الديني؛ اختلاف الناس؛ تقبل الآخر*

Abstract:

This research aims to deduce the foundations governing religious discourse in the light of the Holy Qur'an through extrapolating the texts of the Qur'an with the help of interpretation and the Sunnah of the Prophet. The research was divided into: an introduction, two sections, and a conclusion. The introduction included: the importance of the topic and the method of working on it, and the first topic: the foundations governing the discourse. Religious studies derived from the Holy Qur'an, the second: religious discourse in our contemporary reality - flaws and solutions, and the conclusion: included the most important results of the research and its recommendations, including the existence of governing foundations for Islamic religious discourse that guarantee its moderation and diversity, lack of exaggeration, and acceptance of the other.

Keywords: foundations; the religious speech; Different people; Accept the other

مقدمة

تتنوع توجهات القائمين بالخطاب الديني الإسلامي بين الاعتدال والتطرف؛ ففي الوقت الذي تقوم فيه المؤسسات الدينية الرسمية بالخطاب الديني المعتدل ومن أبرزها الأزهر ــ في التعليم الأزهري وفي الدعوة ــ يقوم أفراد وجماعات مختلفة ــ ترى في نفسها أنها تمثل الإسلام الصحيح ــ بالخطاب الديني الموجه لتفسير نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بما يؤيد فكرهم، ولا يثق تابعو هذه الجماعات علميا إلا في شيوخ جماعاتهم؛ فلا يثقون في المؤسسات الرسمية كالأزهر وغيره؛ لأن فكر هذه المؤسسات الرسمية لا يتوافق مع فكرهم، وبعض هذه الجماعات تغلو وتتبنى الفكر المتطرف التكفيري الضال البعيد عن الحق ووسطية الدين ويسره، ويقابل تطرف هذه الجماعات تطرف في الجانب الآخر المعادي للدين من أهل الهوى والضلال الذين يعادون كل ما يمتّ للدين بصلة؛ ممن يقصرون خطابهم الديني على معاداة الإسلام ومصادره، ويهدفون إلى تهميش الدين ونبذ العلوم الإسلامية، وتسفيه أقوال العلماء، ومهاجمة كتب السنّة وجامعيها للتشكيك في نقلها للوصول إلى استبعادها من المرجعية الإسلامية، كما يحاول بعضهم تقليل الثقة في صلاحية القرآن لهذا العصر بالادعاء بأنه كان مناسبا للعصر الذي نزل فيه فقط؛ وهذا التطرف في الخطاب الديني والغلوّ فيه من الطرفين الأخيرين يبرز أهمية موضوع الأسس الحاكمة للخطاب الديني الإسلامي من خلال استقراء المصدر الأول للتشريع الإسلامي وللخطاب الديني الإسلامي وهو القرآن الكريم؛ لتمثل هذه الأسس إطارا عاما ومنطلقا للخطاب الديني المعتدل المعتمد على القرآن الكريم، كما تكون حاكمة على أي خطاب ديني بالاعتدال أو بالتطرف وفقا للالتزام بهذه الأسس أو الميل عنها.

الدراسات السابقة: مع كثرة تناول موضوع تجديد الخطاب الديني في المقالات والأبحاث لم أعثر على بحث أو مقال تناول الأسس الحاكمة للخطاب الديني من خلال القرآن الكريم؛ لذا أردت المساهمة بالبحث في هذا الموضوع.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أنه لا يوجد بحث سابق في هذا الموضوع ــ على حد علمي ــ بالإضافة إلى أنه سيحدد الأسس والمنطلقات العامة للخطاب الديني التي ينبغي مراعاتها؛ اتباعا لهدي القرآن الكريم، كما يمكن من خلال هذه الأسس الحكم على الخطاب الديني ــ الموجه من الأطراف المختلفة ــ بالاعتدال أو بالميل عن هدي القرآن الكريم.

منهج البحث: **المنهج الاستقرائي**؛ وذلك باستقراء نصوص القرآن الكريم، مع الاستعانة في فهمها بكتب التفسير؛ لاستنباط الأسس الحاكمة للخطاب الديني الإسلامي ومنطلقاته.

منهج العمل في البحث:

١. استنباط الأسس الحاكمة للخطاب الديني من خلال استقراء القرآن الكريم وعنونتها وتصنيفها.

٢. الاستدلال على كل أساس من الأسس الحاكمة للخطاب الديني بالآيات القرآنية المؤيدة.

٣. الاستعانة بكتب التفسير لبيان بعض النصوص عند الحاجة.

٤. الاستدلال بالأحاديث النبوية عند الحاجة، وتخريجها من مصادرها الأصيلة.

٥. رصد واقع الخطاب الديني المعاصر من حيث من يقوم به، ووسائل نشره، وعيوبه.

٦. ذكر بعض المقترحات لإصلاح الخطاب الديني وتقوية أثره في تنشئة المواطن الصالح النافع لنفسه ومجتمعه.

٧. إبراز أهم نتائج البحث والمقترحات والتوصيات المتعلقة به.

وقد قسمت البحث إلى : مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

مقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له ومنهج العمل فيه.

المبحث الأول: الأسس الحاكمة للخطاب الديني المستنبطة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الخطاب الديني في واقعنا المعاصر ــ عيوب وحلول.

خاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته.

المصادر والمراجع: و قد رتبتها ترتيبا هجائيا على أسماء الكتب التي رجعت إليها.

المبحث الأول: الأسس الحاكمة للخطاب الديني المستنبطة من القرآن الكريم

نظرًا لتعدد توجهات من يتولون الخطاب الديني([1]) والداعين إلى تجديده؛ ما بين المتشدد المتطرف المكَفِّر، والمستهين بالدين الساعي إلى تهميشه، والوسط الحريص على وضع كل شيء في مكانه الصحيح ــ كان لابد من البحث عن الأسس الحاكمة للخطاب الديني وفقا لهدايات القرآن الكريم؛ لتكون منطلقا للخطاب الديني، وحَكَما عليه بالاعتدال إذا وافق هذه الأسس، أو بالتطرف إذا خالفها، ولتقي من يراعيها ممن يقوم بالخطاب الديني من الضلال والميل عن الحق.

ومن خلال استقراء القرآن الكريم نجد أنه قد أشار إلى أسس حاكمة للخطاب الديني تعدّ إطارا عاما ومنطلقات له؛ ينبغي مراعاتها وممارسة الخطاب الديني في ضوئها، ومن أبرزهذه الأسس والمنطلقات ما يأتي:

١ـ التسليم بحق المخاطب في الاختيار؛ لأن الله خلق الإنسان كائنا مختارا:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الإنسان كائنا مختارا لعمله في حياته الدنيا؛ ثم يحاسبه في الآخرة على اختياراته؛ فحياة الإنسان اختبار واختيار؛ ولهذا فإنه يجب على من يقوم بالخطاب الديني مراعاة هذا الأساس، وأن يعمل على تبليغ الدين وهداياته وتكاليفه، وأن يترك أمر استجابة المخاطَب أو عدم استجابته لاختياره الذي جعله الله له. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم حق الاختيار للإنسان من خلال ما يأتي:

أ ــ أوّل نهْي للإنسان؛ حينما نهى الله تعالى آدم عليه السلام وزوجه من الأكل من شجرة من أشجار الجنة، ثم في نسيان آدم عليه السلام وزوجه هذا النهي وأكلهما منها؛ وفي هذا أول إشارة إلى أن الإنسان له الاختيار بين الطاعة والمعصية؛ وقد جاء بيان هذا في آيات منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾([2])، وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ

---

١) " المقصود بالخطاب الديني: توجيه كلام مفيد للمتهيئ للفهم بقصد إفهامه حقيقة الإسلام وهداياته؛ فيشمل خطاب القرآن والسنة، وكذا كل خطاب يتناولهما أو يعتمد عليهما". تأصيل تجديد الخطاب الديني ومجالات التجديد في ضوء القرآن الكريم: عبدالرحمن عبدالغني الجمل، مجلة تطوير الأداء الجامعي، جامعة المنصورة، المجلد(٢٢) العدد(١)، الرقم المسلسل للعدد(٣٥)، أبريل ٢٠٢٣، ص(٢٨٦).

٢) سورة طه: الآية (١١٥).

لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(١)

ب ــ بيان الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام ولزوجه ــ قبل هبوطهما من الجنة إلى الأرض ــ رسالة ذريتهما في الأرض؛ وأنه جعل للإنسان الاختيار مع تحمله عاقبة اختياره؛ وذلك في آيات منها قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(٣)، فقد ذكرت هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى بيَّن لآدم ــ عليه السلام ــ وزوجه من أول أمره بهبوطهما إلى الأرض أنه سيرسل رسلا إلى ذريتهما بالهدى؛ وأن لهذه الذرية حرية الاختيار بين اتباع هدى الله أو الإعراض عنه، وأنه سبحانه سيحاسبهم ويجازيهم على اختيارهم بما يستحقونه، وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا في قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(٤).

---

١) سورة الأعراف: الآيات (١٩ ــ ٢٢).

٢) سورة البقرة: الآيتان(٣٨،٣٩). "والضمير في﴿اهْبِطُوا﴾ لآدم وحواء، بدليل ما جاء في آية أخرى:﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ (سورة طه:١٢٣)، وضمير الجمع منظور فيه إلى ذرياتهما في ضمنهما، فكأنهما الجنس كله". التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط. أولى، ١٩٧٣م.(٨١/١).

٣) سورة طه: الآيتان(١٢٣، ١٢٤).

٤) سورة الأعراف: الآيتان(٣٥ ، ٣٦) .

ج ــ بيان الله سبحانه وتعالى أنه سيبتلي الناس ويختبرهم في حياتهم بالخير والشر؛ ليختاروا وليظهر أيهم أحسن عملا بالإيمان والعمل الصالح؛ وقد جاء هذا في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(٣)، وقوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(٤).

د ــ بيان الله سبحانه وتعالى أن الإنسان له الاختيار في الحياة الدنيا بدءا من أن يختار بين الإيمان والكفر على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(٥).

---

١) سورة الملك: الآية(٢). قال الشنقيطي: صرح بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي أن يبتليهم أيهم أحسن عملا، ولم يقل: أيهم أكثر عملا، فالابتلاء في إحسان العمل. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم (الرياض) ط. خامسة ٢٠١٩م (١٤/٣) باختصار وتصرف.

٢) سورة الكهف: الآية (٧).

٣) سورة الإنسان:الآيتان(٢،٣). (أمشاج) أي: أخلاط، باختلاط ماء الرجل بماء المرأة؛ نختبره فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من الطاعة والمعصية. (إنا هديناه السبيل) بيناه له وعرفناه طريق الهدى والضلال ببعث الرسل والآيات الكونية والدلائل، (إمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا): أي أيهما فعل فقد بيَّنَّاهُ له. انظر: تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. ثانية، ١٩٩٩م (٢٨٥/٨، ٢٨٦) باختصار وتصرف.

٤) سورة الأنبياء: الآية (٣٥). والمعنى: نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا، وبما يجب فيه الشكر من النعم، وإلينا مرجعكم فنجازيكم على الصبر أو الشكر. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمر، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ثالثة، ١٤٠٧هـ (١١٦/٣).

٥) سورة الكهف: الآيتان(٢٩،٣٠). أي: قل: الذي أوحي إليّ هو الحق من ربكم؛ فمن شاء أن يؤمن فليفعل، ومن شاء أن يكفر به فليكفر؛ فإنا أعددنا لمن ظلم نفسه ولم يقبل الحق نارا أحاطت بهم من كل جانب كالخيمة، وإن يستغيثوا لشدة العطش يغاثوا بماء كالحديد والرصاص المذاب يشوى الوجوه؛ بئس الشراب شرابهم، وساءت جهنم منزلا. انظر: تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط. أولى، ١٩٤٦م (١٤١/١٥)، باختصار وتصرف.

هـ ــ بيان الله سبحانه وتعالى أنه لا إكراه في الدين، وهذا تأكيد على حق الاختيار للإنسان؛ بالتصريح في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (١)، مع بيان عاقبة اختيار الإيمان أو اختيار الكفر؛ كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٢).

و ــ أمْر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يترك كل إنسان واختياره بعد تعريفه بعاقبة اختياره؛ في آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾(٥).

ز ــ بيان الله سبحانه وتعالى حق اختيار كل إنسان في أن يعمل ما يشاء، مع إعلامه أنه سيحاسب عليه؛ في آيات منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَاۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾(٧)

---

١) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٥٦)، أي: دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه؛ قد تبين وظهر وتميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته. لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن، علاء الدين علي بن محمد، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط.أولى، ١٤١٥هـ. (١٩١/١) باختصار.

٢) سورة الروم: الآيتان (٤٤ ، ٤٥).

٣) سورة يونس: الآية (٤١).

٤) سورة يونس: الآية (١٠٤).

٥) سورة الزمر: الآيات (١٤ ــ ١٦).

٦) سورة فصلت: الآية (٤٠).

٧) سورة الجاثية: الآية (٤٦).

ح ــ تأكيد الله تعالى على مشيئته بجعل الإنسان مختارا في الدنيا بأن بيّــن أنه لم يشأ إجبار الناس بجعلهم أمة واحدة في الإيمان أو في الكفر؛ على ما ذكره سبحانه في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٢)، ولو شاء لجعلهم كفارا على ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾(٣) ولكنه سبحانه وتعالى شاء جعْل الإنسان مختارا.

وبناء على ما سبق فإن الأساس الأول الذي يجب على من يقوم بالخطاب الديني مراعاته هو التسليم بحق الإنسان في الاختيار؛ وبالتالي فليس على من يقوم بالخطاب الديني إلا تبليغ هدايات الإسلام وتكاليفه وبيانها فقط، وترك أمر استجابة المخاطَب أو رفضه لاختياره، ولا يجوز تعنيفه أو الاعتداء عليه أو إكراهه على الاستجابة أو ترهيبه أو التضييق عليه؛ لأن هذا مخالف لما أراده الله تعالى وقدّره في جعل الإنسان مختارا، ليحاسَبه سبحانه يوم القيامة على اختياراته ويجازيه.

٢ـ التسليم بأن الاختلاف بين الناس طبيعة فيهم، وملازم لوجودهم

من الأسس التي ينبغي مراعاتها ممن يقوم بالخطاب الديني ــ التسليم بأن الله تعالى جعل الاختلاف بين الناس طبيعة فيهم؛ وعليه فإنه ينبغي أن يكون الخطاب الديني في ضوء هذه الحقيقة.

---

١) سورة يونس: جزء من الآية (٩٩).

٢) سورة النحل: الآية (٩). أي: وعلى الله بيان الطريق المستقيم؛ طريق الحق، وهو الإسلام؛ فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، ومن السبيل جائرعن الاستقامة معوج؛ وهو الكفر. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، ط. أولى، ٢٠٠١م، (١٧٧/١٤) باختصار وتصرف.

٣) سورة الزخرف: الآية (٣٣).أي لولا أن يصير الناس كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومصاعد ودرجا من فضة، عليها يرتقون.انظر: معالم التنزيل فى تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ط. أولى ، ١٤٢٠ هــ (١٥٩/٤) باختصار وتصرف يسير.

فبالرغم من أن الله تعالى قد ساوى بين الناس في الإنسانية، إلا أنه جعل بينهم فروقا استلزمت اختلافهم في الطبائع والتوجهات والأفعال، وفي تقييم الأمور، وهذا الاختلاف يتعلق بحرية الاختيار التي جعلها الله تعالى في الإنسان وجعل العقل أداتها، ومن الآيات الدالة على هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(١)، ولهذا اختلفوا في قبول الهدى والإيمان؛ فمنهم المؤمن والكافر والمنافق؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣)، وهذا يستلزم ممن يقوم بالخطاب الديني توقع عدم قبول كثير من الناس للهدى ودين الحق، وعليه التسليم بهذا؛ لأن الله تعالى خلق في الإنسان ما يجعله مختارا، ويختلف مع غيره في تقييمه للأمور، وبالتالي فليس على من يقوم بالخطاب الديني إلا تبليغ الدين وبيانه قدر استطاعته فقط؛ لتأكده أنه لا بد من الاختلاف بين الناس بين القبول والرفض؛ لأن الاختلاف طبيعة إنسانية.

هذا مع أن القرآن الكريم ذكر أن الناس يتساوون في أمور منها:

أ ــ **مساواتهم في الإنسانية**، وأنهم جميعا من أصل واحد وهو آدم عليه السلام، ثم خلق منه زوجه، ثم منهما معا كانت الذرية على ما جاء في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن

---

١) سورة هود: الآية(١١٨)، قال الزمخشري: (لجعل الناس أمة واحدة) لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل ملة واحدة وهي ملة الإسلام، وهذا الكلام يتضمن نفى الاضطرار، وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق، ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف، فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا، فلذلك قال: (ولا يزالون مختلفين). الكشاف(٤٣٨/٢) باختصار.

٢) سورة التغابن: جزء من الآية(٢) . أي هو الذي خلقكم ومع ذلك فمنكم مختار للكفر، جاحد للحق، ومنكم مختار للإيمان، وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للإيمان، شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد، فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه، بل تشعبتم شعبا، وتفرقتم فرقا. انظر: محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى ١٤١٨هـ (٢٤٢/٩) باختصار وتصرف يسير.

٣) سورة النساء: الآية(١٤٢). (يُخَادِعُونَ اللَّهَ) يعاملونه معاملةَ المخادِعين بإظهارِ الإيمانِ وإبطانِ الكفر(وَهُوَ خَادِعُهُمْ) مُجازيهم جزاءَ خداعهم. انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد العليمي، دار النوادر، ط. أولى، ٢٠٠٩م. (٢١٧/٢).

نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾(١)، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢)

ب ــ **مساواتهم في الكرامة الإنسانية**، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٣).

ج ــ **مساواتهم في خلافة الأرض** وقدرتهم على الاستفادة بما سخره الله لهم فيها بالعقل والتفكر؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥) .

د ــ **مساواتهم في أنهم مكلفون** ومخاطبون بالدين ومسئولون عن اتباع الحق أو الإعراض عنه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(٦).

هـ ــ **مساواتهم في أن الله خلقهم ليعبدوه**؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٧)

---

١) سورة النساء: جزء من الآية (١).

٢) سورة الحجرات: الآية (١٣).

٣) سورة الإسراء: الآية (٧٠) أي: شرفناهم وفضّلناهم. تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان. ص: (٢٦٩).

٤) سورة البقرة: جزء من الآية (٣٠).

٥) سورة الجاثية: الآية (١٣).

٦) سورة الأحزاب: الآية (٧٢). (الأَمانَةَ) وهي التكاليف من الأمر والنهي. انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، دار النشر للجامعات، ط.أولى، ٢٠٠٩م (١٣٤/٢).

٧) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

ومع هذه المساواة فيما سبق فإن الله تعالى جعلهم مختلفين في أمور منها:

أ ــ **اختلافهم في اللغات والألوان والأجناس** مع وحدة أصلهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾(٢).

ب ــ **اختلافهم في الخلقة** فزاد بعضهم بسطة في الجسم؛ قال تعالى في حكاية مخاطبة هود عليه السلام لقومه عاد:﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾(٣)

ج ــ **اختلافهم في الطبائع** مثل اللين والخشونة والفظاظة، مثل حكايته سبحانه عن طباع الأعراب في قوله تعالى:﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

د ــ **جعل بينهم تفاوتا في النعم والرزق**؛ قال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ ﴾(٥) ، وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ

---

١) سورة الروم: الآية (٢٢).

٢) سورة الحجرات: جزء من الآية (١٣).

٣) سورة الأعراف: جزء من الآية(٦٩).(بسطة)، زاد في أجسامكم طولا وعِظَمًا على أجسام قوم نوح، وفي قوامكم على قوامهم. جامع البيان (٢٦٦/١٠).

٤) سورة التوبة: الآية(٩٧). المعنى: أن أهل البادية من الأعراب، أشد كفرًا ونفاقًا من كفار العرب ومنافقيهم المقيمين بالحواضر، لجفائهم وقسوة قلوبهم، وهذا هو الغالب فيهم. لذلك هم أحق وأولى بأن يجهلوا حدود ما أنزله الله على رسوله من الفرائض والأحكام، لجفاءِ طباعهم وقسوة قلوبهم ونفرتهم من كل ما يخالف ما ألفوه. التفسير الوسيط(٥/٤) باختصار وتصرف. وعلى هذا فينبغي التدرج معهم في بيان التكاليف.

٥) سورة الأنعام: جزء من الآية (١٦٥).

٦) سورة الزخرف: جزء من الآية (٣٢).

٧) سورة النحل: جزء من الآية (٧١).

ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

هـ ــ جعلهم مختلفين ومتفاضلين في العقول والأفهام والعلم؛ قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ (٣)

ومما سبق يتبين لنا أن الله تعالى قد خلق البشر وساوى بينهم في الإنسانية والتكاليف، لكنه جعل بينهم اختلافات وفروقا في أمور؛ فرفع بعضهم على بعض في النعم والرزق والإيمان والفهم والعلم، وجعلهم مختلفين في الجنس واللغات والألوان، وفي القوة وبنيان الجسم، وفي الطباع ما بين اللين والخشونة والفظاظة؛ وهذا الاختلاف يؤثر في اختياراتهم فيما خيروا فيه، فيختلفون في قبول الهدى ودين الحق.

وعلى هذا فينبغي على القائم بالخطاب الديني ما يأتي:

أ ــ التسليم بهذا الاختلاف وتقبّل إعراض المعرضين، لأن الاختلاف بين الناس واقع لا محالة.

ب ــ تنويع الخطاب الديني وأساليبه بما يناسب أحوال المخاطبين، حتى يكون الخطاب أدعى للقبول بمراعاة الاختلاف بين المخاطَبين واتباع الحكمة في مخاطبة كل فئة على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(٤)، فبعضهم يكفيه التذكرة والبيان فيقولون سمعنا وأطعنا، وهم المؤمنون؛ قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥)،

---

١) سورة آل عمران: الآية (٢٦).

٢) سورة المجادلة: جزء من الآية (١١). والمعنى: يرفع الله المؤمنين منكم أيها القوم بطاعتهم ربهم...، ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به" جامع البيان(٤٨٠/٢٢) باختصار.

٣) سورة البقرة: جزء من الآية(٢٦٩). والمعنى: يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم، فقد أوتي خيرا كثيرا" جامع البيان(٨/٥).

٤) سورة النحل: الآية (١٢٥).

٥) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٢)

وبعض المخاطبين يَكْفر ويُصرّ على كفره أو ينافق فيظهر الإسلام وهو يبطن الكفر، وهؤلاء يتم الإعراض عنهم بعد تبليغهم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞۖ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾(٥).

فعلى من يقوم بالخطاب الديني اختيار أنسب الطرق المؤثرة في كل مخاطب على حسب حاله، ولنا في القرآن الكريم وتنوع خطابه هداية وإرشاد.

٣ ـ أن مهمة القائم بالخطاب الديني تنحصر في البلاغ المبين

من أسس الخطاب الديني ــ التسليم بأن مهمة القائم بالخطاب الديني التي حددها الله تعالى تنحصر فقط في البلاغ المبين للدين وتكاليفه وهداياته وليس عليه أكثر من هذا.

وقد سبق بيان أن الله سبحانه وتعالى قد اقتضت حكمته خلق الإنسان كائنا مختارا في الحياة الدنيا ليحاسَب في الآخرة على ما قدم من عمل في الدنيا؛ كما اقتضت حكمته سبحانه

---

١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

٢) سورة النور: الآية (٥١).

٣) سورة الأعراف: الآيتان (١٩٨ ، ١٩٩). أي: اقبل اليسير من أخلاق الناس، وتساهل معهم فيما اعتادوه، من أعمال وعادات لا تخالف ما جئت به، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا، وأْمر بالعرف، أي بما شرعه الله لهم من المعروف، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف. و أعرض عن سفاهة الجاهلين الناشئة عن حقدهم وحسدهم وجهلهم، بترك معاشرتهم أو مؤاخذتهم بمثل سفههم. انظر: التفسير الوسيط(٣/١٥٧٠،١٥٧١) وتفسير المراغي (٩/١٤٧ــ ١٤٩) بتصرف.

٤) سورة النجم: الآية (٢٩).

٥) سورة النساء: الآية (٨١).

وتعالى لتحقيق هذا الاختيار للإنسان أن يرسل رسله بدينه وهداياته إلى الناس ليختاروا بين اتباع هدى الله المرسَل إليهم أو الإعراض عنه؛ وحتى لا يكون لهم على الله حجة أن يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، أو لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبعه، وقد بيّن الله تعالى هذا من أول أمره آدم ــ عليه السلام ــ وزوجه بالهبوط إلى الأرض في آيات منها قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(١)، وفي آيات أخرى منها قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٥)، وقوله تعالى:﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦)، وقوله تعالى:﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٧)

وقد حدد الله تعالى مهمة رسله وقصرها على تبليغ رسالته، وبذْل الجهد في بيانها، مع ترك حرية الاختيار للمرسَل إليهم بيْن أن يستجيبوا أو أن يعرضوا، وقد جاء هذا في آيات منها

---

١) سورة البقرة: الآيتان(٣٨،٣٩).
٢) سورة الأعراف: الآيتان (٣٥ ــ ٣٦).
٣) سورة الأنعام: الآيتان (٤٨، ٤٩).
٤) سورة النساء: جزء من الآية (١٦٥).
٥) سورة طه: الآية (١٣٤).
٦) سورة القصص: الآية (٤٧).
٧) سورة المائدة: الآية (١٩).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٥).

وبيّن الله تعالى أنه ليس على الرسول ﷺ ضمان استجابة الناس للهدى؛ فقال تعالى:﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٦)، كما بيّن للرسول ﷺ أنه ليس مسئولا عن عدم قبولهم الإيمان فقال تعالى:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾(٧) ، وبيَّن له أن مشيئته سبحانه وتعالى أن يُمكِّن الإنسانُ من الاختيار؛ فقال تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٨)، كما أخبر الله سبحانه وتعالى أن أكثر الناس لن يؤمنوا مهما كان حرص الرسول ﷺ على هدايتهم؛ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٩)

وبناء على ما سبق يتبين أن الله تعالى أوجب على رسله ــ صلوات الله عليهم ــ ومنهم رسوله محمد ﷺ تبليغ رسالته سبحانه وتعالى وبيانها للناس فقط؛ ثم بعد رسول الله ﷺ يكون على العلماء ما كان على الرسول ﷺ من البلاغ المبين والإنذار اتباعا له ﷺ، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١٠)،

---

١) سورة النحل: جزء من الآية (٣٥).
٢) سورة النور: الآية (٥٤) ، وسورة العنكبوت: الآية (١٨).
٣) سورة الرعد: الآية (٤٠).
٤) سورة الشورى: جزء من الآية(٤٨).
٥) سورة النحل: الآية (٨٢).
٦) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٧٢).
٧) سورة البقرة: الآية (١١٩).
٨) سورة الذاريات: الآية (٥٤).
٩) سورة يوسف: الآية (١٠٣).
١٠) سورة يوسف: الآية (١٠٨) أي: قل يا محمد هذه الدعوة والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وطاعته، وترك معصيته (سبيلي)، وطريقتي ودعوتي، أدعو إلى الله وحده لا شريك له (على

وقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١)

ومن البلاغ المبين مخاطبة الناس بلُغَتهم حتى يفهموا الخطاب؛ وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(٢)، ولأهمية اللغة والفصاحة في البلاغ المبين؛ دعا موسى ــ عليه السلام ــ الله سبحانه وتعالى أن يصلح له لسانه ليفقه المخاطبون قوله، وأن يرسل معه أخاه هارون ليساعده؛ لأنه أفصح لسانا منه، فاستجاب الله تعالى له؛ وهذا يدل على أهمية اللغة وفصاحة اللسان في إفهام المخاطبين والتأثير في نفوسهم كما بيّنه قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾(٤) .

كما أكد الله سبحانه وتعالى على نزول القرآن باللغة العربية؛ لأن أول المخاطبين به وقت نزوله هم العرب في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٦)، وقوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٧)، فقد خاطب الله تعالى العرب بالقرآن بلسان عربي مبين، وبيَّن سبحانه أنه لو جعل

بصيرة) بذلك ويقينِ علمٍ منِّي، ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي. انظر: جامع البيان(٣٩٨/١٣) باختصار وتصرف.

١) سورة التوبة: جزء من الآية (١٢٢).

٢) سورة إبراهيم: جزء من الآية (٤).

٣) سورة طه: الآيات (٢٤ ــ ٢٨).

٤) سورة القصص: جزء من الآية (٣٤). (ردءا) أي: عونا. معانى القرآن للأخفش: الحسن المجاشعي، الأخفش الأوسط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. أولى،١٩٩٠م. ص (٤٧٠/٢).

٥) سورة يوسف: الآية (٢).

٦) سورة الزخرف: الآية (٣).

٧) سورة فصلت: الآية (٣). (فصّلت آياته) أي: بينت وفسرت، لقوم يعلمون العربية ولو كان غير عربي لما علموه. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. ثانية، ١٩٦٤م (٣٣٧/١٥) باختصار.

القرآن بلغة غير العربية لاتخذ الكفار هذا سبيلا للتعلل بعدم الفهم، في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾(١).

وعلى هذا فإنه ينبغي على من يقوم بالخطاب الديني الاجتهاد في بيان الدين باستخدام كل ما يستطيعه من وسائل البيان التي يهتم بها المخاطبون (مثل القصص، والأمثال، والاستدلال وغير ذلك)؛ وكذا استخدام اللغة التي يفهمها المخاطبون، وانتقاء المفردات المألوفة المفهومة والبعد عن الكلمات الصعبة غير المألوفة، حتى يكون الخطاب أقوى أثرا فيهم وفي تحقق البلاغ المبين.

٤ ـ التسليم بأن حساب المخاطب ومجازاته على اختياراته ـ على الله وحده في الآخرة

من الأسس التي يجب مراعاتها في الخطاب الديني التسليم بأن الدنيا بالنسبة لكل إنسان هي دار اختبار واختيار وعمل، وأن حساب كل إنسان ومجازاته على عمله واختياراته سيكون على الله في الآخرة وليس على القائم بالخطاب الديني، ــ مع عدم إغفال إقامة العدل في الدنيا وضمان حقوق العباد وإقامة أحكام الله التي شرعها ــ؛ وقد بيَّن الله تعالى هذا في آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾(٤)

كما بيّن الله تعالى أن أعمال كل إنسان في الدنيا صغيرها وكبيرها تحصى في كتاب، ثم توزن في الآخرة بالعدل؛ ثم يجازَى كل إنسان بما يستحقه بالجنة أو بالنار، وقد جاء هذا المعنى في آيات عديدة في القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا

---

١) سورة فصلت: جزء من الآية (٤٤).
٢) سورة آل عمران: جزء من الآية (١٨٥).
٣) سورة الرعد: الآية (٤٠).
٤) سورة الغاشية: الآيات (٢١ - ٢٦).
٥) سورة يس: الآية (١٢).

فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾(٣).

ومما سبق يتبين أنه يجب على من يقوم بالخطاب الديني أن يعلم أنه ليس عليه محاسبة من لم يقبل الإيمان؛ لأن الحساب على هذا أمرٌ خَصَّ الله تعالى به نفسه في الآخرة، فلا يجوز لأحد أن يتجاوز ويعطي نفسه هذا الحق؛ لأنه إن فعل هذا سيكون ضالا ضلالا مبينا، ومخالفا حكم الله تعالى.

٥ ـ الاعتماد على القرآن والسنة في الخطاب الديني لأنهما مصدر الدين ومرجعيته

إن أهم أساس من الأسس الحاكمة للخطاب الديني الإسلامي الواجب الاعتماد عليه، ولا يكون الخطاب الديني إلا به ــ هو الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في الخطاب الديني في بيان الدين وتعاليمه، والاستدلال بهما، وأن تكون المرجعية إليهما عند الاختلاف بالاحتكام إليهما؛ لأنهما مصدرا الدين ولا دين إلا بهما؛ قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(٤)؛ حيث أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته سبحانه من خلال القرآن الكريم، وطاعة رسوله ﷺ من خلال السنة النبوية، وعَطَف أولي الأمر على طاعة الرسول ﷺ، وهذا يشير إلى أن طاعة أولي الأمر نابعة من طاعتهم لله وللرسول، وأنه إذا حدث تنازع فإنه من الإيمان الرجوع إلى الله تعالى من خلال القرآن وإلى الرسول ﷺ في حياته ثم من خلال سنته بعد وفاته، وقد جاء هذا المعنى في آيات أخرى كثيرة توجب الرجوع إلى الله والرسول وطاعتهما،

---

١) سورة الكهف: الآية (٤٩).

٢) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

٣) سورة المؤمنون: الآيتان(١٠٢، ١٠٣).

٤) سورة النساء: الآية (٥٩).(فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ) بأن تردوه إلى كتابه العزيز، (والرَّسُولِ) بأن تردوه إلى سنته. (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا) أي وأحسن عاقبة. غريب القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية.ص(١٣٠)

وترهب من يعصي الله ورسوله بالعذاب المهين لضلاله المبين عن الحق، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٣).

ـــ كما بيّن الله تعالى أن من يُعرض عن طاعة الله ورسوله يكون كافرا مستحقا عذاب جهنم؛ وقد جاء هذا في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٥) ، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(٦) .

ـــ كما بيّن الله سبحانه وتعالى أنه بالإضافة إلى أن اتباع الله ورسوله من الإيمان فإن هذا الاتباع يحقق الحياة الطيبة وحسن الجزاء في الآخرة؛ في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ﴾(٨)، كما بيّن

---

١) سورة النور: الآيتان (٥١ ، ٥٢).
٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٦).
٣) سورة النساء: الآيتان (١٣ ، ١٤).
٤) سورة آل عمران: الآية (٣٢).
٥) سورة الأنفال: جزء من الآية (١٣).
٦) سورة النساء: الآية (١١٥).
٧) سورة النحل: الآية (٩٧).
٨) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

أن الإعراض عنهما فيه سوء الحال في الدنيا والآخرة؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١).

وقد حذر الله سبحانه وتعالى المعرضين عن اتباع الله ورسوله، وبيّن أحوالهم، وعدّدهم، وبيّن ضلالهم، وعاقبة هذا الضلال؛ ليحذروا من معصية الله ورسوله، وليحْذر المؤمنون من الاغترار بهم، وعلى القائم بالخطاب الديني تحذير هؤلاء والتحذير منهم، فممن حذّرهم الله وحذّر منهم:

أ ــ حذر من يظن أنه سيأتي بحكم مغاير لحكم الله ورسوله فيه صلاح للمعيشة والحياة الطيبة، وقد حذر الله تعالى من سوء صنيع مثل هؤلاء بأنهم هم الأخسرون أعمالا، وبيّن أنهم موهومون بظنهم أنهم يحسنون صنعا، في حين أنهم في الحقيقة قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا لكفرهم بآيات ربهم ولقائه ورسله، فحبطت أعمالهم، وجزاؤهم جهنم، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ (٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٣) وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾(٤).

ب ــ حذر من يتبعون هواهم وينساقون وراء شهواتهم ويتركون اتباع حكم الله ورسوله، وبيَّن أن اتباع الهوى من أسباب الضلال المؤدي إلى استحقاق العذاب، وقد قرن الله تعالى بين تزيين الإنسان لنفسه سوء عمله ليوافق هواه في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾(٥)، ووصف المتبع لهواه بأنه اتخذ إلهه هواه لأنه يطيعه؛

---

١) سورة طه: الآية (١٢٤).
٢) سورة الكهف: الآيات (١٠٣ ــ ١٠٦).
٣) سورة الزخرف: الآيتان (٣٦ ، ٣٧).
٤) سورة فاطر: جزء من الآية (٨).
٥) سورة محمد: الآية (١٤).

فقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾(١)، كما بين الله سبحانه وتعالى أن من يتبعون أهواءهم يتبعونها بغير علم أو هدى من الله، وأنهم ضالون مضلون؛ في آيات منها قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(٣) ، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٤)، وحذر الله تعالى من اتباع أمثال هؤلاء فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾(٥). وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٦)، وبيّن الله سبحانه وتعالى أن اتباع الهوي مفسد للحياة؛ في قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾(٧).

ج ــ حذر الله تعالى ممن يحسنون القول ويزينونه للناس ويعلنون إيمانهم، وهم يبطنون العداوة للإسلام، ويقصدون بكلامهم المزيَّن الإفساد والصدّ عن دين الله وعدم اتباع القرآن والسنة؛ في قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(٨)

---

١) سورة الجاثية: جزء من الآية (٢٣).
٢) سورة الروم: جزء من الآية (٢٩).
٣) سورة الأنعام: جزء من الآية (١١٩).
٤) سورة القصص: الآية (٥٠).
٥) سورة النساء: جزء من الآية (٢٧).
٦) سورة المائدة: الآية (٧٧).
٧) سورة المؤمنون: جزء من الآية (٧١).
٨) سورة البقرة: الآيات (٢٠٤ ــ ٢٠٦).

د ــ كما حذر الله تعالى من تركْ حكم الله ورسوله تأثرا بشيوع أمر مخالف لحكمهما، وكثرته بين الناس في قوله تعالى:﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١)، وبيّن أن الكثرة والشيوع ليست دليلا على الهدى؛ في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٢)

هــ ــ كذا حذر الله تعالى من الاغترار بالكفار المنعمين في الدنيا مع إعراضهم عن دين الله وطعنهم في آياته؛ فقال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾(٣) وبيَّن سبحانه أن هذه النعم التي هم فيها ليست دليلا على فضلهم أو خيريتهم، وإنما هي سبب من أسباب استحقاقهم العذاب المهين في الآخرة لكفرهم بالله ونِعمه، ولكن الله يمهلهم ويؤخرهم لحساب الآخرة والعذاب الشديد؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٤)؛ وقال تعالى:﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(٥)، وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾(٦)، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾(٧)

---

١) سورة المائدة: الآية (١٠٠).الخبيث: ما يَعُمُّ الرديء والحرامَ. والطيب: ما يعم الجيدَ والحلال، وقد أمر الله الرسول ﷺ: أن يبلغ أُمَّتَه هذه القاعدة العامة؛ وهى أنه: لا يستوى الخبيث والطيب، ولو كان الخبيث كثيرا والطيب قليلا؛ فالطيب: من كل شيء محمود وإن قل، والخبيث: مرذول وإن كثر؛ التفسير الوسيط(١١٧٦/٣) باختصار وتصرف.

٢) سورة الأنعام: الآية (١١٦).

٣) سورة غافر: الآية (٤). أي: فلا يغررك ما هم فيه من نعمة، ولا يهمنك تمتعهم في الدنيا فهو متاع قليل، ومأواهم جهنم وبئس المصير. انظر: التفسير الواضح: محمد محمود حجازي، دار الجيل، بيروت، ط.(١٠)١٤١٣هــ (٢٩١/٣).

٤) سورة آل عمران: الآية (١٧٨).

٥) سورة آل عمران: الآيتان (١٩٦ ، ١٩٧) .

٦) سورة يونس: الآيتان (٦٩ ، ٧٠).

٧) سورة إبراهيم: الآية (٤٢).

و ــ كما حذر الله تعالى من يترك اتباع حكم الله ورسوله استنادا إلى اتباع أسلافهم وتقليدهم دون إعمال للعقل فيما توارثوه، وذَمّ فعلَهم، وبيّن أن عاقبة فعلهم هذا عذاب السعير في الآخرة، وقد جاء هذا في آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١)، وفي قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٣).

ز ــ كما حذر الله تعالى من يترك اتباع الله ورسوله، ويتبع السادة والكبراء فيما يخالف دين الله في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(٤)، وحذر من تضليل الكبراء لأتباعهم بأنهم سيتحملون عنهم خطاياهم، فبيّن أنهم لن ينفعوهم يوم القيامة بشيء، ولن يتحملوا عنهم شيئا من العذاب؛ فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾(٥).

ومما سبق يتضح أن أهم أساس من الأسس التي يعتمد عليها الخطاب الديني هو كون مصدر الخطاب الديني ومرجعيته هو القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ لأنهما مصدرا الدين ولن يكون هناك دين بدونهما؛ فيجب على من يقوم بالخطاب الديني الالتزام بهذا الأساس، ولا يجوز له بأي حال من الأحوال أن يحيد عنه، وعليه التمسك بوحي الله: القرآن والسنة، كما أمر الله

---

١) سورة البقرة: الآية (٧٠).
٢) سورة المائدة: الآية (١٠٤).
٣) سورة لقمان: الآية (٢١).
٤) سورة الأحزاب: الآيات (٦٦ ــ ٦٨).
٥) سورة العنكبوت: الآيتان (١٢ ، ١٣).

تعالى رسوله ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١)، وأن يَحْذر من الاغترار بأي أقوال، أو أفكار، أوعادات أوتقاليد متوارثة تخالف القرآن والسنة مهما زيّنها الداعون لها بالقول أو بالفعل؛ وأن يتمسك باتباع منهج الله اقتداءً بالرسول ﷺ في أمر الله له ﷻ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢)؛ لأن اتباع الأهواء بما يخالف الحق يؤدي إلى الفساد في الأرض؛ على ما بينه الله تعالى في قوله: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾(٣)، كما يحذر من الاغترار بتمتع بعض المخالفين للقرآن والسنة بالنعم؛ لأن الله سبحانه أخبر أنه سيجازيهم بعذاب جهنم في الآخرة؛ فقال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(٤).

٦ـ التمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من أسس الخطاب الديني المميزة لأمة الإسلام، والذي جعل لها الخيرية بين الأمم ــ التمسك بالقيام في الخطاب الديني بالأمر بالمعروف وهو ما أمر به الشرع واستحسنه، والنهي عن المنكر وهو ما نهى عنه الشرع وأنكره وقبّحه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور الإيجابية في إصلاح الحياة؛ والتفاعل بالخطاب مع الأحداث والمواقف؛ لتشيع في المجتمع ثقافة الخير والصلاح والبعد عن الشر والفساد؛ وهذا بدوره يؤدي إلى صلاح المجتمع، وشيوع الخير والفضائل، وعدم التجرؤ على الحرمات أو المجاهرة بالمنكرات؛ وقد دل على هذا آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾(٥)، كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ ــ وهو أول من قام بالخطاب الديني

---

١) سورة الزخرف: الآية (٤٣).

٢) سورة الجاثية: الآية (١٨). الشريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدين، أي جعلناك يا محمد على منهاج واضح من أمر الدين وطريقة توصلك إلى الحق، وهي ملة الإسلام، (فاتبعها) أي فاعمل بأحكامها في أمتك، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون توحيد الله وشرائعه لعباده، وهم كفار قريش ومن وافقهم. فتحُ البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت،١٩٩٢م.(١٢/٤٢٤، ٤٢٥) باختصار وتصرف.

٣) سورة المؤمنون: جزء من الآية (٧١).

٤) سورة آل عمران: الآيتان (١٩٦ ، ١٩٧).

٥) سورة آل عمران: جزء من الآية (١١٠)، والمَعْرُوفُ: اسمٌ لكلّ فعل يُعْرَفُ بالعقل أو الشّرع حسنه، والمنكر: ما ينكر بهما. والعُرْفُ: المَعْرُوفُ من الإحسان. انظر: المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، دار القلم، الدار الشامية ــ دمشق، بيروت، ط. أولى، ١٤١٢هـ ، (ص:٥٦١) باختصار.

في هذه الأمة ــ أن يأمر بالمعروف وهو العرف في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١)، كما أمر الله المؤمنين أيضا بأن يكون منهم جماعة متفقهة في الدين يدعون إلى الإسلام ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم من يقومون بالخطاب الديني بعد الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٢)؛ وعلى هذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس من أسس الخطاب الديني الذي لا يجوز إغفاله، ويجب التمسك به لأنه من خصائص هذه الأمة؛ ولأن الله تعالى أمر الرسول ﷺ به، وأمر المؤمنين أن يكون منهم جماعة من أهل العلم يقومون به، كما ذكر الله تعالى ما يرهب المسلمين من ترك النهي عن المنكر في ذكره سبحانه سوء فعل من ترك النهي عن المنكر من الأمم السابقة، وأنهم ملعونون مطرودون من رحمته؛ في قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾(٣)

ــ ويضاف لما سبق أنه وفقا لما نبه الله تعالى عليه في القرآن الكريم فإنه ينبغي التأكيد على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ممن يقوم بالخطاب الديني ألا يخالف فعله قوله؛ فلا يكون ممن يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه؛ لأن الله تعالى حذر من هذا وبيّن أنه يبغضه؛ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾(٤)، كما عاب على بني إسرائيل فعلهم هذا في قوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(٥)، وفي المقابل فإن الله تعالى مدح من يدعو إلى الله ويوافق عملُه قوله؛ فقال تعالى:﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾(٦).

---

١) سورة الأعراف: الآية (١٩٩).

٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

٣) سورة المائدة: الآيتان (٧٨ ــ ٧٩).

٤) سورة الصف: الآيتان(٢ ، ٣) أي:عظُم فعلكم هذا بغضًا عند ربكم أن تقولوا شيئاً ثم لا تفعلونه. صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط.أولى، ١٩٩٧م (٣٥٠/٣).

٥) سورة البقرة: الآية (٤٤).

٦) سورة فصلت: الآية(٣٣) أي: ومن أحسن قولا ممن دعا عباد الله إليه، وهو في نفسه مهتد بما يقوله، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك. انظر: تفسير ابن كثير(١٧٩/٧) باختصار.

٧ـ القيام بالتذكرة والوعظ والإنذار بالقرآن الكريم :

من أسس الخطاب الديني التي ذكرها القرآن الكريم ــ التذكير والإنذار والموعظة(١) بما في القرآن الكريم، وقد أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ بالقيام بهذا في آيات كثيرة منها؛ قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾(٣)، وذكَر الله تعالى أن القرآن فيه ما يُنذر به وما يُبشر به في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤)، وأمر رسوله ﷺ بأن يُذَكّر ويعظ المؤمنين فإنهم ينتفعون بالذكرى في قوله تعالى:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥)، كما أمر رسوله ﷺ أن يدعو إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ ﴾(٦) ، كما ذكر الله تعالى أنه أرسل رسوله ﷺ للناس جميعا ليبشرهم وينذرهم بما أرسله به في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٧). فكما نرى في الآيات السابقة فإن الله تعالى أمر الرسول ﷺ أن يبشر وينذر ويذكّر ويعظ بوحيه سبحانه وتعالى.

---

١) والموعظة والعظة: التخويف. أو: زجر مقترن بتخويف. أو: التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب.انظر: المفردات في غريب القرآن(ص٨٧٦)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أحمد بن يوسف، السمين الحلبي، دار الكتب العلمية، ط. أولى، ١٩٩٦م (٣٢٤/٤) باختصار وتصرف.

٢) سورة ق: جزء من الآية (٤٥) أي: فحذِّر وخوّف بالقرآن من يخاف العقاب ويخشى العذاب فيسمع لك، ويستجيب لدعوتك. التفسير الوسيط (١٠٨٤/٩).

٣) سورة الأنبياء: الآية(٤٥) أي: أخوفكم بما في القرآن ــ من نذر ووعيد ــ ، وشبه الكفار في تركهم الانتفاع بما سمعوا، بالصم الذين لا يسمعون. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى،١٩٩٤م(٢٣٩/٣) باختصار وتصرف.

٤) سورة الأحقاف: جزء من الآية (١٢). والإشارة إلى القرآن وأنه مُصَدِّقٌ للتوراة لينذر الكفار الذين جعلوا العبادة في غير موضعها في جهة الأصنام والأوثان، ويبشر المحسنين. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي،عبد الحق بن غالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى١٤٢٢هـ باختصار وتصرف(٩٥/٥، ٩٦).

٥) سورة الذاريات: الآية (٥٥).أي: لا تدَع التذكير والموعظة؛ فإن القلوب المؤمنة تنتفع وتتأثر بالموعظة الحسنة. صفوة التفاسير(٢٤٠/٣).

٦) سورة النحل: جزء من الآية (١٢٥).

٧) سورة سبأ: الآية (٢٨).

وقد قام الرسول ﷺ بما أُمر به مراعيا حال المخاطبين بالموعظة في أيام متفرقة حتى لا يملوا؛ فعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ علينا»([1]).

ثم بعد الرسول ﷺ تكون مهمة العلماء من بعده ــ ممن يقومون بالخطاب الديني ــ هي البشارة والإنذار والتذكير والعظة بوحي الله تعالى كما كانت مهمة الرسول ﷺ؛ على ما بيّنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾([2])، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾([3])، وعليه فإنه على القائم بالخطاب الديني التذكير والإنذار والوعظ بالوحي من القرآن والسنة اتباعا للرسول ﷺ.

٨ـ تنوع الخطاب الديني بما يناسب كون الإسلام دعوة عالمية للناس كافة إلى دين الله

من أســس الخطاب الديني مراعاة أن الإسلام دعوة من الله تعالى للناس كافة من وقت بعثة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة؛ فقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يجعل الإسلام خاتم رسالاته إلى البشر، وأن يجعل فيه من المقومات ما يبقيه إلى يوم القيامة بتكفله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم خاتم الكتب المنزلة منه سبحانه لهداية البشر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾([4])، ليستمر هذا القرآن داعيا إلى الهدى ودين الحق إلى يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ([5])، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾([6])، كما اقتضت مشيئة الله أن يصطفي رسوله محمدا ﷺ ليكون خاتم النبيين والمرسلين بهذا الدين الخاتم للناس كافة؛ وقد

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه: ك. العلم، بَاب: (مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لا يَنْفِرُوا) ح (٦٨)؛ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط. خامسة، ١٩٩٣م.(٣٨/١).

٢) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

٣) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

٤) سورة الحجر: الآية (٩).

٥) سورة الإسراء: الآية (٩).

٦) سورة التوبة جزء من الآية (٣٣)، وسورة الفتح: جزء من الآية (٢٨)، وسورة الصف: جزء من الآية (٩).

جاء هذا في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٤)، وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: ... وكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً... »(٥)، وفي رواية: «وَبُعِثْتُ إلى الناس عامة»(٦)

ويترتب على كون الإسلام دعوة عالمية للناس كافة أن يتنوع الخطاب الديني ليخاطب كل أمة وكل شعب بما يفهمونه، وبما يؤثر فيهم من أساليب الخطاب، والاستدلال والتمثيل بما يألفونه في بيئاتهم، ومن الأشياء التي يمكن عملها على سبيل المثال ترجمة هدايات الإسلام وتعاليمه إلى اللغات المختلفة قياسا على ما أخبر الله تعالى به في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٧)، فكما قدّر الله تعالى إرسال رسله لأقوامهم بلغاتهم لتكون اللغة أداة للبيان لهم؛ فإنه ــ نظرا لكون الإسلام دعوة للناس كافة ــ ينبغي على من يقوم بالخطاب الديني الإسلامي ترجمة هدايات الإسلام إلى اللغات المختلفة حتى تكون اللغة أداة لفهمهم، مع التنبيه على عدم جواز ترجمة نص القرآن؛ لأن لفظه العربي المنزل من الله تعالى له خصوصية؛ حيث جعله الله تعالى معجزا، متعبدا بتلاوته بلفظه العربي المنزّل، وهذه الخصوصية يستحيل أن توجد في أي ترجمة، وحتى لا يحدث تشتت ولَبْس بين الترجمات المختلفة والمتعددة؛ وليظل القرآن

---

١) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٤٠).

٢) سورة سبأ: جزء من الآية (٢٨).

٣) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

٤) سورة الفرقان: الآية (١).

٥) أخرجه البخاري في صحيحه: أبواب المساجد، باب: قول النبي ﷺ : (جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)، وهو جزء من الحديث(٤٢٧) واللفظ له (١٦٨/١)، ومسلم في صحيحه: ك.المساجد ومواضع الصلاة، ح(٥٢١)؛ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٥م. (٣٧٠/١).

٦) أخرجه البخاري في صحيحه: أول كتاب التيمم، ح(٣٢٨) ، (١٢٨/١).

٧) سورة إبراهيم: الآية (٤).

علَمًا على ما أنزله الله تعالى بلفظه العربي المنزل الذي أراده الله لغةً لكتابه الخاتم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١).

وهذه الترجمات لهدايات القرآن ــ وليست لنص القرآن ــ من متطلبات عالمية الدعوة، والبلاغ المبين الذي كُلِّف به الرسول ﷺ في قوله تعالى:﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٢)، ونحو ذلك من آيات، ثم بعد الرسول ﷺ يكون على الدعاة إلى الله ما كان على الرسول ﷺ من البلاغ المبين على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾(٣)

٩ـ أن يكون القائم بالخطاب الديني عالما فقيها فيما يقوم به من خطاب

من الأسس الحاكمة للخطاب الديني ــ أن يكون القائم بالخطاب من العلماء المتخصصين الذين يعتمدون في خطابهم على العلم المؤيد بالدليل والحجة، فيبلغون دين الله ويعلمونه للناس، ويرجع الناس إليهم للإجابة عن أسئلتهم، وهذا واجب العلماء بعد رسول الله ﷺ.

وقد بيَّن الله عز وجل أنه أرسل رسوله محمدا ﷺ لأمته ليتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٤)، وقد بينت هذه الآية أن مصدر علم الرسول محمد ﷺ هو وحي الله تعالى، ويدل على هذا أيضا قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٥) ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٦).

وأمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يقول أنه هو وأتباعه يدعون إلى الله على بصيرة من وحي الله تعالى؛ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ

---

١) سورة الزخرف: الآية (٣).
٢) سورة النور: جزء من الآية (٥٤).
٣) سورة يوسف: جزء من الآية (١٠٨).
٤) سورة الجمعة: الآية (٢).
٥) سورة النساء: جزء من الآية (١١٣).
٦) سورة النحل: جزء من الآية(٤٤).

وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١)، وهذا فيه دلالة على أن العلماء يتبعون الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله بما أوحي إليه من الحق والهدى على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٢)، و قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ ﴾(٣)، وبما يستنبطونه من القرآن الكريم على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾(٤) ففي الآية إرشاد للناس بالرجوع إلى الرسول ﷺ ثم إلى العلماء القادرين على الاستنباط، كما جاء الأمر بسؤال أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٥) وأهل الذكر هم أهل العلم بدليل قوله تعالى في نهاية الآية: ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

ومما جاء في القرآن أيضا ويدل على أنه يجب أن يكون القائم بالخطاب الديني عالما متفقها في الدين قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾(٦) ففي قوله:(لينذروا قومهم) بعد (ليتفقهوا في الدين) ولم يقل (ليحفظوا أو ليتعلموا) وإنما قال: (ليتفقهوا)؛ للإشارة إلى أن الإنذار والمخاطبة في الدين لا تكون إلا بعد العلم والتفقه فيه؛ فليس المراد الحفظ وإنما الفقه والفهم، وهو مبني على الدراسة والتحليل والتدبر وليس مجرد حفظ العلم، وفي قوله: (لينذروا قومهم) إشارة إلى أن العلماء يتولون مهمة الأنبياء في الإنذار الذي دلت عليه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ ﴾(٧).

---

١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

٢) سورة الأنعام: الآية (١٦١).

٣) سورة التوبة: جزء من الآية (٣٣)، وسورة الفتح: جزء من الآية (٢٨)، وسورة الصف: جزء من الآية (٩).

٤) سورة النساء: جزء من الآية (٨٣).

٥) سورة النحل: جزء من الآية (٤٣)، و سورة الأنبياء: جزء من الآية (٧).

٦) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

٧) سورة الأنعام: جزء من الآية (٤٨).

وقد أشار الله تعالى إلى فضل الفهم وأنه من أعلى درجات العلم في قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾(١)، كما أشار إلى فضل العلم، وأنه يزيد ــ في أمره رسوله ﷺ أن يدعوه سبحانه ويسأله أن يزيده في العلم؛ في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾(٢)، وعلى قدر الأفهام وما يفتح الله على العالِم، وقدر طلبه للعلم وتحصيله يتفاضل العلماء، وقد أشار الله تعالى إلى تفاضل العلماء في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٥)، كما بيَّن الله تعالى أن العلم يُقوِّي اليقين ويحقق الإيمان في قلوب العلماء؛ فذكر أن العلماء هم أخشى الناس لله؛ على ما جاء في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٦)

ولِمَا سبق من بيان فضل العلم والعلماء وتفاوتهم في درجات العلم وتوجيه الله تعالى الناس بالرجوع إليهم وسؤالهم؛ لأنهم أهل الذكر؛ ولقدرتهم على الاستنباط؛ فإن هذا يؤدي بالضرورة إلى الرجوع إلى جهود العلماء السابقين المتفقهين في الدين على مرّ التاريخ الإسلامي، والاستفادة بما وصلت إليه عقولهم من تحليل نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، والبحث والاستدلال؛ والمقارنة بين الأقوال والترجيح بينها بناء على قوة الدليل من ناحيتي الثبوت والحجة، وكذا من ناحية عدم مخالفة الثابت في الدين؛ فالرجوع إلى تراث العلماء الراسخين في العلم والاحتجاج بآرائهم المستندة إلى الأدلة الشرعية والعقلية، والمنهجية العلمية الصحيحة ــ ضرورة علمية؛ لأن في تركها إهدارا لنتاج عقول نابهة لعلماء متفقهين في الدين راسخين في العلم، وإغفالا لما أمر الله به من الرجوع إلى أهل العلم القادرين على الاستنباط، كما يعدّ ترك أقوال العلماء الصحيحة مع سهولة الوصول إليها من خلال ما خلّفوه من مؤلفات ــ من كتمان

---

١) سورة الأنبياء: جزء من الآية (٧٩).
٢) سورة طه: جزء من الآية(١١٤).
٣) سورة المجادلة: جزء من الآية (١١).
٤) سورة يوسف: الآية (٧٦).
٥) سورة آل عمران: جزء من الآية (٧).
٦) سورة فاطر: جزء من الآية(٢٨).

العلم الذي يستحق فاعله عقاب الله تعالى؛ على ما رُوي عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(١)

لذا يجب على من يقوم بالخطاب الديني أن يكون من أهل العلم المتفقهين في الدين بخبرتهم في التعلم والاطلاع والبحث والدراسة والتحليل، والموازنة بين الآراء والترجيح بينها بالدليل وقوته والحجة القوية فيما تخصصوا فيه من تخصصات العلم الديني، وما يرتبط به من علوم ومعارف ضرورية للرسوخ فيه، وأن يبيِّنوا أرجح الآراء بالدليل في المسائل المختلف فيها حتى يقوموا بالبلاغ المبين، وألا يوقعوا المخاطبين في حيرة وتخبط بمجرد ذكر الآراء والأقوال في المسألة دون ترجيح وبيان للقوي المعتبر بدليله.

١٠ـ الحث على التدبر والتفكر وإعمال العقل وعدم إغفاله

من أهم أسس الخطاب الديني الإسلامي ــ الحث على إعمال العقل والتدبر التفكر، وعدم إغفال العقل؛ وقد جاء هذا بوضوح وكثرة في خطاب القرآن الكريم؛ ومن ذلك:

أ ــ الحث على التفكر في القرآن الكريم وتدبره، والاستدلال بحقائقه، وبعدم وجود تناقض فيه ــ على أنه من عند الله وليس من عمل البشر الذين لا يسلم عملهم من الاختلاف والتناقض؛ على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٤)

---

١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب العلم، باب: مَا جَاءَ فِي كِتْمَانِ العِلْمِ، ح(٢٦٤٩)، وقال الترمذي: حديث حسن؛ سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط. ثانية،١٩٧٥م. (٢٩/٥)، وأبو داود في سننه: ك. العلم، باب فضل نشر العلم، ح(٣٦٥٩)؛ سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، دار الرسالة العالمية، ط. أولى،٢٠٠٩م.(٥٠٠/٥)، وابن ماجه في سننه: المقدمة، باب: مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، ح(٢٦٤ ، ٢٦٦)؛ سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، دار إحياء الكتب العربية(٩٧/١ ، ٩٨)، وابن حبان في صحيحه: النوع(١٠٩)، ح(٢٨٠٨ ، ٢٨٠٩)؛ صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البُستي، دار ابن حزم، بيروت، ط. أولى،٢٠١٢م. (٤٩٠/٣ ، ٤٩١)، وأحمد في المسند: في مواضع منها:ح (٧٥٧١)؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط. أولى،٢٠٠١م. (١٨/١٣).

٢) سورة النساء: الآية (٨٢).

٣) سورة محمد: الآية(٢٤).

٤) سورة المؤمنون: الآية(٦٨).

ب ــ **الحث على التفكر في الكون للوصول إلى الخالق** وحقيقة الوجود، وأن الكون لم يُخلق عبثا؛ وأنه لا بد من الحساب؛ وقد جاء هذا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١)، و قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾(٢)، و قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣)، و قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٤).

ج ــ **الاستدلال بالأدلة العقلية:** ومن ذلك الاستدلال على وحدانية الله بالأدلة العقلية في قوله تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٦)

---

١) سورة آل عمران: الآيتان (١٩٠ ، ١٩١).

٢) سورة الأعراف: الآية (١٨٥).

٣) سورة يونس: الآية (١٠١).

٤) سورة فصلت: الآية (٥٣).

٥) سورة الأنبياء: الآية (٢٢) قال المراغي: أقام الدليل العقلي على التوحيد ونفَى أن يكون هناك إله غير الله؛ بذكره أنه لو كان فى السموات والأرض إله غير الله لخربتا وهلك من فيهما؛ لأنهما إما أن يختلفا أو يتفقا فى التصرف فى الكون، والأول ظاهر البطلان؛ لأنه إما أن ينفذ مرادهما معا فيريد أحدهما الإيجاد والثاني لا يريده فيثبت الوجود والعدم لشىء اختلفا فيه، وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الثاني، فيكون هذا مغلول اليد عاجزا، والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضا؛ لأنهما إذا أوجداه معا وجب توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد. تفسير المراغي (١٩/١٧) بتصرف يسير.

٦) سورة المؤمنون: الآية(٩١). بيَّن الله تعالى بطلان الشريك والولد بالبرهان القاطع بأنه ما اتخذ ولدًا، وليس معه من يشاركه في الألوهية والربوبية؛ لأنه لو كان معه إله لانفرد كل إله بخلقه الذي خلق واستبدَّ به، وتميَّز مُلك كلٍّ واحد عن مُلك الآخر، ولغلب بعضهم على بعض؛ فيعلو بعضهم على بعض، وما كان ينتظم الوجود، والمشاهد أن الوجود منتظمٌ متَّسقٌ؛ فدل هذا على تنزه الله عن الولد والشريك. انظر: صفوة التفاسير(٢٩٢/٢) باختصار وتصرف.

كما جاء الاستدلال العقلي في آيات كثيرة منها على سبيل المثال: **الاستدلال العقلي على البعث** بأن من بدأ الخلق على غير مثال سابق قادر على إعادته بالبعث؛ والإعادة أيسر من بدء الإنشاء على غير مثال سابق، في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾(١) ، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(٢). ومنها ما جاء بأسلوب لفت النظر للتفكر عن طريق السؤال؛ وقد جاء هذا في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾(٣). وغير ذلك من أمثلة.

د ــ الحث على التفكر في الموروث عن الآباء والأجداد مما يخالف هدي الله، ونبذ التقليد الأعمى:

نبه القرآن الكريم إلى ضرورة التفكر وإعمال العقول في الموروث عن الآباء والأجداد من عادات وأعمال تخالف دين الله، أو تخالف العقل، وحذر من إغفال العقل بالتقليد دون تفكير؛ لأن من يقلدونهم أو يطيعونهم لن يمنعوا عنهم العذاب الذي يستحقونه إذا اتبعوهم في الكفر أو في المعاصي؛ لذا جاء التنبيه إلى ضرورة التفكر فيما وجدوا عليه آباءهم وتوارثوه عنهم من مفاهيم وعادات وأعمال ــ في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥)، وأن يعلموا أن كل إنسان سيحاسَب

---

١) سورة الأنبياء: جزء من الآية (١٠٤).
٢) سورة يس: الآيتان (٧٨، ٧٩).
٣) سورة الأعراف: الآيات (١٩١ ، ١٩٢).
٤) سورة المائدة: الآية (١٠٤).
٥) سورة الأعراف: الآية (٢٨).

ويجازى بما قدم من عمل، ولن ينفعه اتباعه لغيره في منع العذاب عنه أو تخفيفه، على ما جاء في آيات منها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾([1]).

ولتعلق الخطاب الديني بالموروث من مؤلفات واجتهادات علمية في العلوم الإسلامية فإنه مما يجب التفكر فيه وإعمال العقل فيه أيضا اجتهادات العلماء السابقين المذكورة فيما خلّفوه من مؤلفات في العلوم الدينية الإسلامية؛ لأنه لا أحد يقول بعصمة العلماء مهما كانوا عليه من العلم والرسوخ فيه؛ فقد يخطئون في بعض اجتهاداتهم مع صوابهم في أغلب آرائهم؛ وأبرز دليل على هذا أنه على مر العصور يوجد اختلاف في آراء العلماء في بعض المسائل الفقهية في كل طبقة بدءا من صحابة رسول الله ﷺ ، ثم مَن بعدَهم من العلماء في كل عصر إلى الآن؛ لذا يجب دراسة آراء السابقين واجتهاداتهم والمفاضلة بينها واختيار بعضها وعدم قبول بعضها الآخر بناء على الدليل والحجة؛ لأنه لا أحد منهم معصوم؛ قال الشيخ محمد أبو زهو: " ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله افترض على العباد طاعته وطاعة رسوله ﷺ، واتفق العلماء على أنه ليس أحد معصوما في كل ما أَمر به ونَهى عنه إلا رسول الله ﷺ ، وعَمِلَ الصحابةُ والتابعون ومَن بعدَهم من الأئمة بهذا الأصل؛ ... ومالكٌ ــ رحمه الله ــ كان يقول: "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة"، والشافعي ــ رحمه الله ــ كان يقول: "إذا صح الحديث بخلاف قولي، فاضربوا بقولي عرض الحائط. وإذا رأيت الحجةَ موضوعةً على طريق فهي قولي"، وقال ابن القيم: كان الإمام أحمد إذا وجد النص أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان"([2]) ولهذا دأب العلماء المسلمون على تناول أعمال سابقيهم العلمية بالفحص والتحليل، والنقد، والترجيح بين الآراء، بالإضافة إلى إبداء آراء جديدة مدعمة بالأدلة، وكل هذا بمنهجية علمية، والمرجعية عند الجميع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة على ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ

---

١) سورة المدثر: الآية (٣٨).

٢) الحديث والمحدثون: محمد أبو زهو، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ط. أولى ١٩٥٨م.(٣٢، ٣٣) باختصار.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١)، وهذا من الوضوح والظهور لكل متخصص في أي علم من العلوم الإسلامية بحيث لا يحتاج إلى استدلال، ويكفي بيانا لهذا وجود مؤلفات تتجدد على مَرّ السنين خلال التاريخ الإسلامي ومازالت تتجدد وستستمر إن شاء الله في التفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية.

هـ ــ **الحث على التفكر وإعمال للعقل فيما يأمر به الكبراء والسادة أتباعهم من الكفر والضلال**، لأنهم لن ينفعوا من اتبعوهم؛ بل إنهم سيتبرءون منهم؛ وقد جاء بيان هذا في آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(٤)، فهذه الآيات تحث المخاطبين على التفكر وإعمال العقل فيما يأمرهم به كبراؤهم وساداتهم، وأن يعلموا أن اتباعهم لغيرهم في الكفر والمعاصي لن يعفيهم من عذاب الآخرة، وكذا لن يخفف عنهم العذاب.

---

١) سورة النساء: الآية (٥٩).

٢) سورة سبأ: الآيات (٣١ ــ ٣٣).

٣) سورة البقرة: الآيات (١٦٥ ــ ١٦٧).

٤) سورة الأحزاب: الآيتان (٦٧ ، ٦٨).

و ــ الأمر بالدعوة بالحكمة: أمر الله تعالى اتخاذ الحكمة سبيلا للدعوة إلى دين الله، وهو أمر بإعمال العقل في الدعوة والخطاب الديني؛ قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(١)، والحكمة هي الإصابة في القول، والسَّداد في الرأي، والنطق بما يوافق الحق.(٢)، وقد قيل إن الحكمة جاءت في القرآن على خمسة أوجه(٣): القرآن في﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ ويؤيده قوله تعالى:﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٤)، وقوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٥)، أو النبوة ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ (٦) ويفسرها ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾(٧)، أو السنة ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾(٨)، أو الفهم والعقل، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ ﴾(٩)، وهذه الأوجه تندرج تحت معنى الحكمة العام وهو: الإصابة في القول، والسَّداد في الرأي، والنطق بما يوافق الحق، ويكون هذا كله في ضوء ما أوحاه الله من الدين على ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١٠)، وقد

---

١) سورة النحل: الآية (١٢٥). أي: ادع أيها الرسول إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه ــ بوحي الله الذي يوحيه إليك، وبالعبر والمواعظ التي جعلها فى كتابه حجة عليهم، وَجَادِلْهُمْ بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة: من إيضاح الحق بالرفق واللين. انظر: تفسيرالمراغي(١٦١/١٤) وأضواء البيان(٤٦٠/٣ ، ٤٦١) باختصار وتصرف.

٢) صفوة التفاسير (٤٥١/٢).

٣) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه: يحيى بن سلام، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م (ص٢٠١ ، ٢٠٢) باختصار وتصرف وإضافات.

٤) سورة يس: الآية(٢).

٥) سورة آل عمران: الآية (٥٨).

٦) سورة النساء: جزء من الآية (٥٤).

٧) سورة العنكبوت: جزء من الآية (٢٧).

٨) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٤).

٩) سورة لقمان: جزء من الآية (١٢).

١٠) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

تناولت هذه الآية مرجعية الدعوة والخطاب الديني (على بصيرة) متمثلة في وحي الله تعالى لرسوله ﷺ في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(١)، وفي سُنَّة رسوله ﷺ المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

واستخدام الحكمة في الخطاب الديني يستلزم إعمال العقل والتفكر ومراعاة الأساليب المناسبة لحال المخاطبين في كل عصر ومكان؛ كالاستدلال، والتمثيل بما يألفونه في بيئاتهم، أو بالاستعانة بكل ما يستحدث من وسائل تيسر الفهم والبيان، واستخدامها لتحفيز المخاطبين على قبول الخطاب الموجه لهم.

١١ ـ التبشير والتيسير في الخطاب وعدم التنفير والتعسير

من أسس الخطاب الديني المعتمدة على توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ــ اتباع منهج التيسير والتبشير والبعد عن التعسير والتنفير في الخطاب؛ اتباعا لأمر النبي ﷺ في قوله: «**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**»(٣)، وقد أكد الرسول ﷺ على يسر الدين فقَالَ: « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**، ...»(٤)، وعليه فإنه ينبغي سلوك مسلك التيسير في تناول الأمور، والبعد عن التشدد أو الغلو الذي حذر الرسول ﷺ فاعله في قوله: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**». قَالَهَا ثَلاَثًا.(٥)؛ لأن هذا التشدد مما ينفر من الدين؛ لكن مع الحث على التيسير فإنه ليس مطلقا؛ وإنما يكون بشرط عدم مخالفته دين الله تعالى؛ على ما بيّنه فعل رسول الله ﷺ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « **مَا**

---

١) سورة الإسراء: جزء من الآية (٩).

٢) سورة النحل: جزء من الآية (٤٤).

٣) أخرجه البخاري في صحيحه: ك. العلم، بَاب: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لا يَنْفِرُوا، ح(٦٩)، (٣٨/١) ومسلم في صحيحه: ك. الجهاد والسير، بَاب فِي الأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ. ح (١٧٣٢)، (١٣٥٨/٣).

٤) أخرجه البخاري في صحيحه: ك. الإيمان، باب : الدين يسر، ح (٣٩)، (٢٣/١).

٥) أخرجه مسلم في صحيحه: ك. العلم، باب: هلك المتنطعون.ح (٢٦٧٠)،(٢٠٥٥/٤)، والمتنطعون هم المتشددون والغلاة الذين يجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. ثانية، ١٣٩٢هـ. (٢٢٠/١٦).

خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الآخَرِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا؛ فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»(١).

كما نص القرآن الكريم على يسر الدين، ورَفْع الحَرَج والضيق والمشقة عن المكلفين، وعدم التكليف بما هو فوق الطاقة؛ في آيات منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٢) ، وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٣) ، وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٥)؛ ولذا فإنه سبحانه تعالى شرّع الرُّخَص الشرعية عند وجود أسبابها؛ تيسيرا على المكلف.

كما أشار الله تعالى إلى أنه يريد التيسير؛ حين نَهى عن كثرة السؤال حتى لا يكون السؤال سببا في التعسير؛ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(٦).

كما أمر الله تعالى ببعض الأمور الأخرى التي تؤلف القلوب، و تساعد في قبول الحق، وعدم نفور الناس من الخطاب الديني؛ منها:

أ ــ أمْره سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بقبول العفو في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٧). وهو أن يقبل اليسير من أخلاق الناس، ويتساهل معهم فيما اعتادوه من أعمال وعادات لا تخالف ما أُرسل به، ولا يطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا(٨).

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه: ك. الحدود، بَاب: إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَالانْتِقَامِ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ. ح (٦٤٠٤)، (٢٤٩١/٦)، ومسلم في صحيحه: ك. الفضائل. بَاب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَامِ، وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ... ــ واللفظ له ــ ح (٢٣٢٧)، (١٨١٣/٤).

٢) سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٥).

٣) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٨٦).

٤) سورة الأنعام: جزء من الآية (١٥٢)، وسورة الأعراف: جزء من الآية (٤٢).

٥) سورة الحج: جزء من الآية (٧٨).

٦) سورة المائدة: الآية (١٠).

٧) سورة الأعراف: الآية (١٩٩).

٨) انظر: تفسير المراغي (١٤٧/٩)، والتفسير الوسيط(١٥٧٠/٣).

ب - أمْره سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بمقابلة الإساءة بالحسنة، وبيانه أثر هذا في تقريب القلوب والنفوس، والمودة بعد العداوة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(١).

ج - مراعاة حال المخاطب حتى لا ينفر من الخطاب، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢)، وهذا يشير إلى ضرورة مراعاة حال هؤلاء وأمثالهم، وعدم مخاطبتهم بأحكام الدين التي تخالف طباعهم وعاداتهم في بيئتهم من أول الأمر حتى لا ينفروا من الدين وتكاليفه، وأنه ينبغي التدرج معهم.

ومن مراعاة حال المخاطبين أيضا ما كان يفعله الرسول ﷺ بجعل موعظته للصحابة في أيام متفرقة، وليس كل يوم حتى لا يملوا؛ ويؤدي بهم الملل إلى النفور من الموعظة والخطاب الديني؛ ويوضح هذا ما روي عن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ؛ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ علينا»(٣).

د - بيانه سبحانه وتعالى أثر اللين وحسن الخلق من الرحمة والحلم والرأفة في تأليف القلوب؛ وذِكْره أن الفظاظة والغلظة من المنفرات؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾(٤)

ولكل ما سبق فإنه يجب مراعاة التيسير والتبشير في الخطاب الديني اتباعا للقرآن الكريم وللسنة النبوية القولية والفعلية؛ تأليفا للقلوب واستمالتها إلى الدين الحق، والبعد عن التعسير والتشدد وكل ما يؤدي إلى التنفير من الخطاب الديني ومن قبوله؛ لأن من يفعل هذا يخالف تعاليم الدين بالإضافة إلى أنه سيكون سببا في الغلو والتشدد الذي حذر منه الرسول ﷺ، وفي صرف الناس عن قبول الدين وأحكامه.

---

١) سورة فصلت: الآية (٣٤).

٢) سورة التوبة: الآية (٩٧). أي: أنهم أحق وأولى بأن يجهلوا حدود ما أنزله الله على رسوله من الفرائض والأحكام، لجفاءِ طباعهم وقسوة قلوبهم ونفرتهم من كل ما يخالف ما ألفوه من عقائد وعادات. التفسير الوسيط(٥/٤)

٣) أخرجه البخاري في صحيحه، وقد سبق تخريجه.

٤) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

١٢ ـ فتح باب الأمل لمغفرة الذنوب والمعاصي للعصاة بالتوبة، وللكفار بالانتقال من الكفر إلى الإيمان.

من أسس الخطاب الديني المهمة ــ الحرص على الإيجابية وتشجيع العصاة والفاسدين إلى العودة إلى الصلاح بالتوبة، وطلب المغفرة من الله، وعدم اليأس من رحمته، وقد نبه الله تعالى من بداية تكليف آدم وزوجه إلى أن الإنسان ينسى ويعصي الله؛ وأنه سبحانه يفتح باب الرجوع إليه بالتوبة ويقبلها من عباده؛ فقد نهاهما الله عن الأكل من شجرة من أشجار الجنة؛ قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١) ثم نسيا هذا النهي وعصيا الله وأكلا منها، واستجابا لوسوسة الشيطان وتزيينه لهما الأكل منها؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾(٢)، ثم بيَّن الله تعالى لهما طريق العودة إلى الصلاح بالتوبة الصادقة؛ فعلّمه الله تعالى التوبة؛ قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٣) وكانت التوبة باعترافهما بذنبهما وتوجههما إلى الله تعالى بطلب المغفرة في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٤)، وقد جاءت كلمة (التواب) في ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بصيغة المبالغة رغم أنها كانت معصية واحدة للإشارة إلى أن هذا سيتكرر من الإنسان، وفي هذا تنبيه لبني آدم أنهم إذا وقعت منهم الأخطاء والمعاصي ثم ندموا وعادوا إلى الله تعالى تائبين مستغفرين فإن باب التوبة والأمل في المغفرة مفتوح، وعليهم ألا ييئسوا من رحمة الله.

ــ وفي فتح باب الأمل للرجوع إلى الله ــ صلاح للتائب وللمجتمع؛ لأنه لو لم تكن التوبة متاحة لتمادى المفسد والعاصي في فساده وعصيانه في الدنيا، وعاث في الأرض فسادا وعدوانا. كما أن في فتح باب التوبة إظهارا لرحمة الله بعباده وعفوه عنهم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾(٥)، وجاءت صيغة المبالغة في (لغفار) للدلالة على كثرة المغفرة كلما عاد التائب المستغفر.

---

١) سورة البقرة: الآية (١٧٨).
٢) سورة طه: الآية (١١٥).
٣) سورة البقرة: الآية (٣٧).
٤) سورة الأعراف: الآية (٢٣).
٥) سورة طه: الآية (٨٢).

وقد رغَّب الله تعالى في التوبة فذكر أنه سبحانه يحب من يتوب إليه؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١)، وجاءت صيغة (التوابين) للمبالغة أيضا لحث المذنبين على التوبة والرجوع إلى الله حتى وإن تكررت منهم الذنوب.

كما بين الله تعالى أنه وحده له أن يغفر أو أن يعذب بمشيئته، وأنه يتوب عن الذي يتوب إليه ويَصلُح عملُه؛ قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)

وقد رغَّب الله سبحانه وتعالى في التوبة وطلَبِ المغفرةِ، وفَتَح باب التوبة والمغفرة واسعا، ونهى عباده عن القنوط واليأس من رحمته مهما أسرفوا في الذنوب ومهما كان الذنب؛ فأتاح التوبة والرجوع إلى الحق والصلاح في الدنيا؛ لأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعا؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٣).

كما بين سبحانه أنه في الآخرة يغفر لمن يشاء أي شيء إلا الشرك؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾(٦)

---

١) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٢٢).

٢) سورة المائدة: الآيتان (٣٩ ، ٤٠).

٣) سورة الزمر: الآية (٥٣). ظاهر الآية أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله لقوله (ياعبادي). صفوة التفاسير(٣/٧٨).

٤) سورة النساء: الآية (٤٨).

٥) سورة النساء: الآية (١١٦).

٦) سورة الفتح: الآية (١٣).

كما لا يتوب على المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾(١).

ومع هذا فإن باب الإيمان والمغفرة مفتوح في الدنيا لمن أراد من الكفار أو المنافقين أن يؤمن؛ قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٢)

كما بيّن الله تعالى أنه يغفر للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون سريعا، وليس وقت الاحتضار في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾(٣)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٤).

كما أمر الله تعالى المؤمنين أن يتوبوا إليه توبة نصوحا خالصة؛ راجين مغفرته وتكفير سيئاتهم، ودخول الجنة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾(٥).

كما بَشَّرَ الله سبحانه وتعالى من يستغفره ولا يصرّ على المعصية بالمغفرة وحسن الجزاء في الجنة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ

---

١) سورة التوبة: الآية (٨٠).

٢) سورة الأنفال: الآية (٣٨).

٣) سورة النساء: الآيتان(١٧، ١٨).أي: التوبة التي يقبلها الله هي توبة من فعل المعصية سفهاً وجهالة مقدّرًا قبح المعصية وسوء عاقبتها، ثم ندم وأناب سريعًا قبل مفاجأة الموت، وليس قبول التوبة ممن ارتكب المعاصي واستمر عليها حتى إذا فاجأه الموت تاب؛ فهذه توبة المضطر، وهي غير مقبولة، وكذلك لا يقبل إيمان الكافر عند الاحتضار. صفوة التفاسير(١/٢٤٣، ٢٤٤) باختصار وتصرف.

٤) سورة الأنعام: الآية (٥٤).

٥) سورة التحريم: جزء من الآية (٨).

لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(١)

وعليه فينبغي على من يقوم بالخطاب الديني ألا يقطع الأمل أمام المخاطبين في عودتهم إلى الصلاح، وطلب المغفرة من الله تعالى بالتوبة النصوح الخالصة وبالعمل الصالح، وعليه ترغيبهم ودعوتهم للتوبة، كما عليه أن يرغب غير المؤمنين في الإيمان، ببيانه أنهم إذا أسلموا فإن الله يغفر لهم كل ما كان من معاصيَ قبل إيمانهم.

١٣ ـ قبول الآخر وبرُه وحسن معاملته إلا إذا اعتدى على الإسلام والمسلمين

من الأسس الحاكمة التي ينبغي مراعاتها في الخطاب الديني في مخاطبة غير المسلمين ــ خطابهم بلين وودّ وتسامح وتقبلهم؛ وهذا من البر الذي أباحه الإسلام في معاملة غير المسلمين إذا كانوا غير معتدين على الإسلام والمسلمين في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢)، والبر هو اسم جامع للطاعات، وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى(٣)، فقد أباح الله تعالى الإحسان إلى غير المسلمين وبرهم، وإعطاءهم حقوقهم بالعدل، ثم عقّب بما يدل على الترغيب في ذلك بقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ).

وقبول غير المسلمين وبرهم وحسن معاملتهم ينطلق من تعاليم الإسلام وثوابته وهديه التي أشار إليها القرآن الكريم ــ وقد سبق ذكر بعضها ــ ومنها:

---

١) سورة آل عمران: الآيتان (١٣٥ ، ١٣٦).

٢) سورة الممتحنة: الآيتان (٨ ــ ٩) أي: لا ينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدِّين من الكفار، ولم يُخرجوكم من دياركم أن تُحسنوا إليهم، وتعدلوا بينهم، إنَّ الله يُحب أهل البر والعدل. إنما ينهاكم الله عن موالاة الذين حاربوكم ليصدُّوكم عن الدين، وأخرجوكم من دياركم أوعاونوا على إخراجكم، ثم توعد من يواليهم بأنه ظالم لنفسه بتعريضها للعذاب. انظر: التفسير الوسيط(١٠/١٣٨٢ ، ١٣٨٣) باختصار وتصرف.

٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. ثالثة ١٤٢٠هـ (٥/٢١٣).

أ ــ **أن الله تعالى جعل الإنسان مكرَّما؛** قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١)، وعليه فلا يجوز امتهان أي إنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم، أو الاعتداء عليه بالقول أو بالفعل بسبب الاختلاف في الرأي أو في المعتقد، إلا إذا اعتدى غير المسلم على الإسلام أو المسلمين أو قاتلهم؛ فيكون للمسلم الدفاع عن دينه ونفسه.

ب ـ **أن الله تعالى جعل الإنسان مخيرا في الدنيا** بين قبول الهدى والحق أو رفضه؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ ﴾(٢)، وعليه فإنه لا مانع من التعامل مع أي إنسان سواء كان مسلما أو غير مسلم إذا لم يعادِ الإسلام والمسلمين؛ لأن الاختلاف بين الناس في المعتقد ضرورة حتمية ناتجة عن حرية الاختيار التي جعلها الله في تكوين الإنسان.

ج ــ **أن الله تعالى أمر المسلمين ببرّ غير المسلمين،** والعدل معهم وإعطائهم حقوقهم، وهذا من حسن معاملة غير المسلمين؛ قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾، وهم يدخلون في الأمر العام للمسلمين بالعدل والإحسان وصلة الرحم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣)، وفي أمره سبحانه بالتمسك بالعدل حتى مع من يبغض المسلمون منهم بعض أمورهم؛ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٤)

د ــ **أن الله تعالى أشار إلى إباحة التعامل مع غير المسلمين وتبادل المنافع،** وجَعَل الدين والاعتقاد أمرًا يخص صاحبه واختياره، حين بيّن سبحانه وتعالى أن الناس كلهم من أصل واحد وهو آدم ــ عليه السلام ــ وخلق من آدم زوجه، ومنهما كانت الذرية؛ في قوله

---

١) سورة الإسراء: الآية(٧٠).
٢) سورة الكهف: الآية(٢٩).
٣) سورة النحل: الآية (٩٠).
٤) سورة المائدة: الآية (٨).

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(١)، فكل الناس إخوة في الإنسانية، ثم في بيان الله تعالى أنه جعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتعاملوا وليس ليتعادوا أو ليتناحروا؛ في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾(٢)، والتعارف يقتضي المعاملة بين جميع الناس أيا كانت جنسياتهم وعقائدهم، ومن البديهي أن الناس سيكون منهم المؤمن وغير المؤمن، بل إن أكثرهم لن يكون مؤمنا على جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، ومع هذا فإن الله تعالى ذكر أنه جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف بينهم وليس للتناحر، وهذا يشير إلى قبول الآخر وحسن التعامل معه.

هـ ــ **أمر الله تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما حتى وإن كانا كافرين**، كما أمر بطاعتهما إلا في الشرك بالله؛ فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾(٤)، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، قلت: إن أمي قدمت وَهِيَ رَاغِبَةٌ(٥)، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: (نَعَمْ، صِلِي أمك)(٦)؛ وهذا يفيد حسن معاملة الأبناء لوالديهم غير المسلمين وبرهما وطاعتهما في غير الشرك والمعاصي.

و ــ **أمَر الله تعالى المسلمين بقبول لجوء غير المسلمين إليهم**، إذا استجاروا بهم وطلبوا الأمان، كما أمر بتأمينهم وحمايتهم، ثم دعوتهم إلى الإسلام، فإذا لم يقبلوا الإيمان فإنه يبقى لهم حق الأمان من المسلمين في دار الإسلام حتى يرجعوا إلى بلادهم ودارهم ومأمنهم؛

---

١) سورة النساء: جزء من الآية (١).

٢) سورة الحجرات: جزء من الآية (١٣).(لتعارفوا) أي ليحصل بينكم التعارف والتآلف، لا التناحر والتخالف. صفوة التفاسير(٣/٢١٩).

٣) سورة يوسف: الآية (١٠٣).

٤) سورة العنكبوت: جزء من الآية(٨).

٥) أي: قَدِمَت طالبة برّ ابنتها لها خائفة من ردها إياها خائبة. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ. (٥/٢٣٤).

٦) أخرجه البخاري في صحيحه:.ك. الهبة وفضلها، باب: الهدية للمشركين،ح(٢٤٧٧) واللفظ له،(٢/٩٢٤)، ومسلم في صحيحه:ك. الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين، ح (١٠٠٣) ، (٢/٦٩٦).

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾(١)، وهذا من حسن معاملة غير المسلم المسالم حتى مع عدم قبوله الإسلام بعد عرضه عليه.

ز ــ **ذَكَر الله تعالى أن الأصل في معاملة المسلمين لغيرهم هو المسالمة** وعدم الاعتداء عليهم، وبيّن القاعدة في مقاتلة غير المسلمين في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٢)؛ حيث نهى الله تعالى المسلمين عن البدء بقتال غير المسلمين أو الاعتداء عليهم، وقَصَر الأمر بالقتال على قتال من يبدءون بالعدوان على الإسلام والمسلمين، فإن انتهوا فلا يجوز للمسلمين الاعتداء عليهم، وهذه القاعدة هي الأصل الذي تُحمل عليه آيات أمر المسلمين بالقتال في القرآن الكريم، وقد بيّن الله تعالى حكمة تشريع القتال عموما في قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾(٤)، وهي دفع الفساد في الأرض، ودرء اضطهاد أهل الإيمان والاعتداء عليهم، وعلى دور عبادتهم، ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية؛ وعلى هذا فإن الإسلام لا يأمر بالقتال إلا لرد الاعتداء عليه أوعلى المسلمين؛ فإن انتهى الاعتداء توقف المسلمون عن القتال؛ فالإسلام دين سلام؛ يحرص على التعايش السلمي مع الغير؛ ومما يؤكد هذا أن الله تعالى قد أمر المسلمين بالاستجابة لمن يطلب السلام معهم، في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾(٥)، ولو كان الإسلام دين حرب كما يدعي المضللون ما جاء في القرآن مثل هذا الأمر بالاستجابة لدعوة السلام.

---

١) سورة التوبة: الآية(٦). يقول تعالى لنبيه: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم ــ استأمنك فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن؛ تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم عليه به حجة الله، وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه. تفسير ابن كثير(١١٣/٤) باختصار وتصرف.

٢) سورة البقرة: الآية (١٩٠).

٣) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٥١).

٤) سورة الحج: جزء من الآية (٤٠).

٥) سورة الأنفال: جزء من الآية (٦١).

فكما نرى فإن مجمل الآيات السابقة تدل على التوجيه بحسن معاملة غير المسلمين وبرّهم، إلا إذا كانوا من المعتدين على الإسلام والمسلمين، وهذا هو منهج الإسلام وتعاليمه في معاملة غير المسلمين؛ لذا ينبغي على كل من يقوم بالخطاب الديني مراعاة هذه القاعدة الإسلامية عند خطاب غير المسلمين، وعدم الاعتداء عليهم بالقول أو بالفعل، أو إثارة العداوة ضدهم، أو استعدائهم، وأن يكون الخطاب بالحكمة واللين بقصد إبلاغ الدين، وإبراز حقائق الإسلام بأساليب حكيمة مناسبة؛ فإذا لم يستجيبوا فلا يجوز له تعنيفهم أو التضييق عليهم أو إيذاؤهم أو إكراههم على قبول الإسلام؛ لأنه ليس على الداعي إلا البلاغ المبين.

وعلى نهج ما سبق من الحث على حسن معاملة غير المسلمين نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى ما يمكن عدّه أسسا لتوجيه الخطاب الديني لغير المسلمين، ومنها:

أ ــ اللين في الخطاب: فإن اللين في القول يؤلف القلوب ويهيئ النفوس لقبوله، ويقي الداعي من عدوان المعارض لخطابه، ويدل على هذا أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون ــ عليهما السلام ــ بمخاطبة فرعون بالقول اللين؛ لعله يؤثر في قبوله؛ قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(١)، وفي هذا إرشاد لمن يتولى الخطاب الديني بالتلطف في القول، وألا يكون فظا؛ وقد أشار الله تعالى إلى أثر اللين في الخطاب والمعاملة؛ في قوله لرسوله ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾(٢) ويفهم من هذا أن الناس اجتمعوا حول رسول الله ﷺ لكونه ليِّنا معهم، وأن الفظاظة والغلظة من المنفرات.

ب ــ مخاطبة أهل الكتاب بالأمور المشتركة بين الإسلام وبين معتقدهم لاستمالتهم للتفكر في الإسلام وتعاليمه؛ ويشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

---

١) سورة طه: الآيتان (٤٣ ، ٤٤).
٢) سورة آل عمران: جزء من الآية (١٥٩).
٣) سورة آل عمران: (٦٤).

إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(١)

ج ــ **الجدال بالتي هي أحسن:** ذكر الله سبحانه وتعالى الجدال بالتي هي أحسن في أساليب الدعوة إلى دينه سبحانه تعالى في أمره رسوله ﷺ في قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾(٢)، كما أكد على هذا الأمر في جدال أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ (٣)، وهذا الأمر بالجدال بالتي أحسن عموما أو لأهل الكتاب؛ يوجب على من يقوم بالخطاب الديني في حالة الجدال - أن يجادل بالتي هي أحسن؛ ويكون هذا باللين مع الالتزام بالحق والثبات عليه، وحسن القول، والاستدلال والحجة.

وقد ذكر الله تعالى في الآيتين في الجدال قوله:﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ لأن معنى الجَدَل: "مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة، وَامْتِدَاد الْخُصُومَةِ وَمُرَاجَعَةِ الْكَلَامِ"(٤)، أو هو: دفع الْمَرْء خَصمه عَن فَسَاد قَوْله بِحجَّة أَو شُبْهَة، ولا يكون إلا بمنازعة غَيره. والمُجَادَلَة: المُناظَرَةُ والمخاصَمة على سبيل المنازعة والمغالبة(٥)، أو: هِيَ الْمُنَازعَة فِي الْمَسْأَلَة العلمية لإلزام الْخصم سَوَاء كَانَ كَلامه فِي نَفسه فَاسِدا أَو لا.(٦)، وعلى هذا فالجدل والمجادلة يتضمنان الخصومة والمنازعة بين المتجادلين على سبيل المغالبة؛ أي ليغلب كل منهما الآخر سواء بحق أو بباطل؛ لذا جاء الأمر في القرآن بالجدال بالتي هي أحسن؛ للإشارة إلى أن جدال المسلم لا بد أن يكون بالحق؛ ولإظهار الحق وبالعلم.

---

١) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

٢) سورة النحل: جزء من الآية (١٢٥).

٣) سورة العنكبوت: جزء من الآية (٤٦).

٤) انظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، دار الفكر، ١٩٧٩م.(٤٣٣/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري، ط. المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م (٢٤٧/١)، ولسان العرب: محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي، دار صادر ــ بيروت، ط. ثالثة، ١٤١٤هـ . (١٠٥/١١).

٥) المفردات (ص١٨٩، ١٩٠)، وعمدة الحفاظ (٣١٢/١) باختصار وتصرف يسير.

٦) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت. (ص٣٥٣) ، و(ص٨٤٩).

وقد جاء في القرآن أيضا ما يفيد أن المجادلة المذمومة ــ غير التي هي أحسن ــ هي ما كانت بالباطل أو بغير علم أو بغير هدى من الله، على ما بينه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾(١) ، وقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(٢).

د ــ **الخطاب بالحوار:** جاء في القرآن الكريم ذكر الحوار في دعوة غير المؤمن، والحِوَار هو: "المراجعة والمرادّة في الكلام"(٣)، ويتضمن تردد الكلام بين متحاورين؛ لإظهار كل منهما ما يراه صوابا بلين القول والحجة، ولعل في قصة الرجلين في سورة الكهف التي وُصف كلامهما بالمحاورة وليس بالجدال في قوله: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾(٥)، إلى آخر قصتهما ــ ما يظهر أن محاورتهما كانت باللين والحجة لإظهار كل منهما للآخر صحة ما يعتقده.

هـ ــ **الخطاب بالمحاجة:** جاء في القرآن الكريم استخدام المحاجة في الخطاب الديني لغير المؤمن، والمُحاجَّة: أن يطلب كلّ واحد أن يَردّ الآخرُ عن حُجّته ومحجّته، والحُجَّة: الدلالة المبيّنة للمحجّة، أي: للمقصد المستقيم الذي يقتضي صحة أحد النقيضين. وَقيل: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ؛ والتَّحاجُّ: التَّخاصُم. وحاجّه مُحَاجَّة وحجاجا جادله(٦). وعليه فالمُحاجة هي طلب الحجة أي الدليل البيّن الواضح الذي لا يُرَدّ لظهوره. كما كان في محاجة إبراهيم ــ عليه السلام ــ بالحجة القوية الدامغة الواضحة التي لا يستطيع المحاجج ردها، حين حاجه ملك كافر، على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ

---

١) سورة الحج: الآية (٨).

٢) سورة غافر: جزء من الآية (٥).

٣) انظر: المفردات (ص٢٦٢)، وعمدة الحفاظ (٤٦٣/١، ٤٦٤).

٤) سورة الكهف: الآية (٣٤).

٥) سورة الكهف: الآية (٣٧).

٦) انظر:المفردات (ص٢١٩)، ولسان العرب(٢٢٨/٢)، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم أنيس وآخرون)، ط. ثانية، ١٩٧٢م.(١٥٦/١).

وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

كما جاء في القرآن في المحاجة طلب الدليل والبرهان والحجة العلمية ممن يدعي شيئا؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٢)، وطلب البرهان، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(٣)

وفي كل من الجدال والتحاور والمحاجة مراجعة في الكلام بين طرفين، وإن اختص كل منها بشيء على ما مر بيانه، وكلها تستخدم في الخطاب الديني على ما جاء في القرآن الكريم، ولا تخلو من مراعاة الحكمة وحسن القول والاستدلال والحجة.

و ــ **الرد على افتراءات المفترين:** مما يتعلق بالجدال والمحاورة والمحاجة ــ الرد على افتراءات المفترين على الإسلام، بما يسقط افتراءاتهم ودعاواهم الباطلة، وقد جاء الرد على افتراء المفترين في آيات كثيرة وفي موضوعات متعددة؛ من أبرزها افتراءاتهم على الرسول ﷺ والقرآن الكريم؛ بأوصاف مفتراة، وقد ردَّ الله تعالى عليهم بما يبين ضلالهم عن الحق في مثل: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾(٤) ونفى عن القرآن وعن الرسول ﷺ ما افتروه من أكاذيب تدل على ضلالهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ

---

١) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).

٢) سورة آل عمران: (٦٥ – ٦٦).

٣) سورة البقرة: الآية(١١١).

٤) سورة الطور: الآيتان (٣٣ ، ٣٤).

عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(١) ، كما ردّ الله سبحانه وتعالى على كل ما ادعوه وافتروه بتحديهم أن يثبتوا ادعاءاتهم وافتراءاتهم بأن يأتوا بمثل القرآن؛ في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٢) أو أن يأتوا بعَشْر سور مثله؛ في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٣)، أو أن يأتوا بسورة مثله؛ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٤) أو أن يأتوا بسورة من مثله ويستعينوا بمن شاءوا؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾(٥) مع جزمه سبحانه على سبيل القطع أنهم لن يستطيعوا أن يفعلوا هذا حتى لو اجتمع الإنس والجن على الإتيان بمثل القرآن، وفي هذا أقوى ردٍّ عليهم؛ إذ إنهم مع إعلان التحدي لهم ووجود الدافع لديهم لإثبات دعواهم، لم يستطيعوا؛ فيكون في هذا أقوى دليل و ردّ عملي على أن القرآن من عند الله وفوق قدرة الجن والإنس، ويسقط كل دعاواهم بأنه مفترى أو أن أحدا علمه للرسول ﷺ ؛ لأنه إذا كان الأمر كما يدعون فليستعينوا بمن شاءوا وليأتوا بمثله؛ فلما عجزوا دل هذا دلالة قاطعة على كذبهم في دعاواهم وافتراءاتهم، وثبت أن القرآن من عند

---

١) سورة النحل: الآية (١٠٣).أخرج الحاكم بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي الآية قال: « قَالُوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا عَبْدُ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكُتُبِ. فَقَالَ اللَّهُ: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾... » المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى،١٩٩٠م. ك. التفسير، سورة النحل، ح(٣٣٦٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي في التلخيص وقال: صحيح.(٣٨٩/٢).

٢) سورة الإسراء: الآية (٨٨).

٣) سورة هود: الآيتان(١٣ ، ١٤).

٤) سورة يونس: الآيتان(٣٧ ، ٣٨).

٥) سورة البقرة: الآيتان (٢٣ ، ٢٤).

الله وفوق قدرة المخلوقات ولا يمكن أن يُفترى، وثبت أن ما وصفوا به القرآن والرسول ﷺ كانت أكاذيب.

ز ــ **الحرص في الخطاب الديني الموجه لغير المسلمين على عدم سب معبوداتهم**، حتى لا يسبوا الله تعالى لجهلهم وعنادهم وتعصبهم لمعبوداتهم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(١).

ح ــ **الإعراض عن المعاندين المصرين على رفض الهدى ودين الحق:** أمر الله تعالى من يقوم بالخطاب الديني بالإعراض عن المعاندين من الكافرين، بعد أن يتبيَّن إصرارهم على عدم قبول الحق، ويبيّن هذا أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بهذا في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(٢) ، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾(٣) ، وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾(٦).

وقد جاء وصف الجاهلين بأنهم من يريدون عبادة غير الله في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾(٧)، ويتجرأ هؤلاء وأمثالهم على الخوض في آيات الله والاستهزاء بها؛ فوجب الإعراض عنهم؛ لأنهم لا يرجى منهم هداية على ما جاء في قوله

---

١) سورة الأنعام: الآية (١٠٨).
٢) سورة الأعراف: الآيتان (١٩٨ ، ١٩٩).
٣) سورة النجم: الآية (٢٩).
٤) سورة الأنعام: الآية (١٠٦).
٥) سورة الحجر: الآية (٩٤).
٦) سورة الأنعام: جزء من الآية(٧٠).
٧) سورة الزمر: الآية (٦٤).

تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾(١)، وقد بين معنى الخوض في آيات الله بالكفر بها والاستهزاء بها في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾(٢)

ط ــ ترك المُصرِّين على الكفر لما اعتقدوه، فلهم دينهم وللمسلمين دينهم

فقد أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يعلن ثباته على عقيدته للمُصرِّين على الكفر بدين الله، وأن يتركهم لما اختاروا عبادته واعتقدوه من دين، وأن يتركوه وما يعبد وما اعتقده من دين؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٥)، كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾(٦)، وفي هذا إرشاد للقائمين بالخطاب الديني بعدم التمادي في دعوة غير المسلمين إذا عاندوا وأصروا على عدم قبول الدين، وتركهم واختيارهم، وإخبارهم أن لهم ما اختاروا وللمسلم ما اختار ولا عداء بينهما؛ فكلٌّ له اختياره، وحسابُه على الله في الآخرة.

وأخيرا نخلص من كل ما سبق ذكره من أسس ينبغي مراعاتها لكل من يقوم بالخطاب الديني أنه يجب أن يكون عالما متخصصا فيما يتكلم فيه، وأن يراعي أنه مأمور فقط بتبليغ الدين وبيانه بالاعتماد على القرآن الكريم والسنة الصحيحة، مع مراعاة حال المخاطب المؤمن وغير المؤمن على اختلاف الأحوال؛ واختيار محتوى الخطاب المناسب لكل، وكذا أساليب الخطاب

---

١) سورة الأنعام: جزء من الآية (٦٨).
٢) سورة النساء: جزء من الآية(١٤٠).
٣) سورة يونس: الآية (١٠٤).
٤) سورة الزمر: الآيتان (١٤ ، ١٥).
٥) سورة الزمر يونس: الآية (٤١).
٦) سورة الكافرون: الآية (٦).

المناسبة، وأنه ليس عليه تحقيق النتيجة التي يرجوها وهي هداية الناس؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون الإنسان مختارا لعمله في الدنيا مع تحمله مسئولية اختياره، وحسابه على الله في الآخرة؛ والاختيار سيؤدي بالضرورة إلى الاختلاف بين الناس؛ وعلى من يقوم بالخطاب اتباع منهج التيسير والتبشير والإنذاروالتذكير والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليه أيضا تقبل الآخر وحسن معاملته ما لم يكن معاديا.

المبحث الثاني: الخطاب الديني في واقعنا المعاصر، عيوب وحلول

بعد ما سبق بيانه من الأسس الحاكمة التي أشار إليها القرآن الكريم لتمثل منطلقاتٍ للخطاب الديني تحفظه من الميل عن الصواب، وما بيَّنه القرآن من أن الله تعالى خلق الإنسان مختارا، واقتضى هذا بالضرورة أن يُمكّن من حرية الاختيار حتى يكون جزاؤه على اختياره مستحقا وعادلا، ويترتب على هذا الاختيار اختلاف الناس في قبول الحق أو رفضه؛ وعليه فيجب على من يقوم بالخطاب الديني مراعاة هذا وتقبل الآخر، ومعرفة أنه ليس عليه إلا البلاغ المبين بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس مطلوبا منه إكراه أحد على قبول الدين أو محاسبة الرافضين؛ لأنه لا إكراه في الدين؛ كما أن الحساب على الله في الآخرة؛ كما يجب على من يقوم بالخطاب الديني الاعتماد على القرآن والسنة في الخطاب، وأن يكون من أهل العلم المتخصصين فيما يتناوله من خطاب، ومن المطلعين على جهود العلماء السابقين بالإضافة لما يستجد مع قدرته على تحليل أقوال العلماء ودراسة أدلتهم والترجيح بينها، ملتزما فيما يقول بالدليل الصحيح والحجة الراجحة؛ متبعا الأسلوب العلمي في بحث أي مسأله أو في توجيه الخطاب للغير.

ومن خلال المُشاهَد في واقعنا المعاصر نجد أن أغلب عيوب الخطاب الديني تكمن في القائمين به وميلهم عن أسس الخطاب الديني التي أشار إليها القرآن؛ فبعضهم لا يكون من أهل العلم المتخصصين، وبعضهم لا يرى الالتزام بحكم القرآن والسنة، وبعضهم يسفه جهود أهل العلم السابقين بشكل عام دون نظر أو دراسة لكل قول أو اجتهاد لهم بأدلته وحججه، وبعضهم يستند إلى أحاديث لا تصح، أو أحاديث ضعيفة مع وجود أحاديث تخالفها أصح منها، أو يتكلف في تفسير النصوص القرآنية والحديثية بما يوافق هواه.

ويمكن تقسيم واقع الخطاب الديني المعاصر إلى نقطتين:

النقطة الأولى: القائم بالخطاب الديني في واقعنا المعاصر:

من خلال متابعة من يقومون بالخطاب الديني، أو من يقومون بعرض آراء وأفكار وتفسيرات ومسائل متعلقة بالإسلام في القنوات التليفزيونية أو على وسائل التواصل الاجتماعي أو في تطبيقات الإنترنت، نجد أن القائمين بالخطاب الديني هم:

١. متخصصون في العلوم الإسلامية يقومون بالخطاب الديني في المساجد أو في وسائل الإعلام أو في التعليم الأزهري ــ يبينون الإسلام وهداياته وتكاليفه بمنهج علمي صحيح، كلٌ في تخصصه.

٢. متخصصون في علم الفقه يقومون بحكاية الآراء المختلفة في المسائل المعروضة دون ترجيح أو بيان للرأي الأقوى دليلا وحجة؛ مما يوقع المخاطَب في الخلط وعدم الوقوف على الحق، أو يجعله يختار القول الذي يوافق هواه، والذي قد يكون من الأقوال الضعيفة أو الباطلة.

والأولى بهؤلاء المتخصصين في الفقه بما لديهم من علم وقدرة على الترجيح بين الآراء بالمنهج العلمي ــ أن يختاروا من الأقوال أقواها دليلا وحجة، ويبينوها، أو أن يأتوا بقول جديد إذا كان لديهم الدليل القوي والحجة الراجحة في المسألة، وأن ينهجوا نهج القرآن الكريم في إقامة الحجة والاستدلال بالأدلة بأنواعها الشرعية والعقلية؛ حتى يكون لرجوع الناس إليهم بالسؤال الفائدة المرجوة، بالإجابة الوافية، ومعرفة للصواب.

٣. بعض خريجي جامعة الأزهر الذين يتحدثون في وسائل الإعلام أو على تطبيقات الإنترنت في موضوعات لا علاقة لها بتخصصاتهم كمن يكون من خريجي اللغة العربية أو قسم العقيدة والفلسفة مثلا، ويتحدث في إنكار بعض الأحاديث النبوية دون معرفة درجة هذه الأحاديث من حيث الصحة أوالضعف، ودون الرجوع للشروح، أو لأسباب ورود الحديث، ودون جمعٍ لطرق الحديث وألفاظها المتعددة في الروايات، ومنهم من يذكر أو يستشهد بأحاديث مكذوبة لا أصل لها ويلقيها على المشاهدين وكأنها صحيحة ثابتة، ومنهم من يتحدث في التفسير دون علم أو رجوع لكتب التفسير التي تتبع المنهج العلمي، ودون الرجوع للغة والسياق وعلوم القرآن، أو يتحدث في الخلافات الفقهية وحكاية الآراء الضعيفة دون علم بالفقه وأصوله أو أدلة أصحاب الآراء وأقواها دليلا وحجة، مع أن الأزهر فيه

التخصصات الدقيقة في هذه المجالات، مثل: الحديث وعلومه، والتفسير وعلوم القرآن، والشريعة الإسلامية.

وبعض هؤلاء يتعمد التمسح بالأزهر بحرصه على ارتداء الزيّ الأزهري لإيهام الناس أنه متخصص فيما يتحدث فيه من علوم دينية، رغم أن مجال دراسته في الأزهر لا علاقة له بما يتكلم فيه، ولا سبق له دراسة أوليات العلم فيه، وقد ظهر بعضهم في بعض اللقاءات التليفزيونية وهو لا يستطيع قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة من المصحف؛ وبالتالي فليس لديه حتى مبادئ البناء العلمي للعلم الديني فضلا عن أن يكون باحثا أو ذا فكر ورأي؛ مما يثير الشك في كيفية حصوله على شهادته الجامعية، إذ كيف يكون قد نجح في القرآن الكريم في كليات أزهرية يتم الامتحان فيها في القرآن كاملا تحريريا وشفويا وهو لا يعرف كيف يقرأ القرآن الكريم.

لذا وحرصا على حماية الناس من تضليل مثل هؤلاء الذين يدلسون على الناس ويوهمونهم بأنهم متخصصون بظهورهم بوصفهم خريجي الأزهر، أو بظهورهم بزِيّ الأزهر، وهم غير متخصصين فيما يتناولونه من موضوعات، وحفاظا على القيمة المعنوية للأزهر في الأمة يمكن أن يقوم الأزهر بالآتي:

أ ــ تقنين ظهور خريجيه في الإعلام وعبر الإنترنت ممن يقدمون أنفسهم بصفتهم أزهريين بقولهم إنهم أزهريون، أو بلبسهم الزيّ الأزهري ــ لأن هذا أمر يمس مؤسسة الأزهر والثقة فيها ــ بحيث لا يتم ظهور أحد بصفته أزهريا إلا بمنحه تصريحا إعلاميا من الأزهر بتأهله للحديث في تخصصه العلمي المحدد؛ حتى لا يتكلم فيما لا علم له به، مستغلا الأزهر والثقة فيه في التدليس على المخاطبين وإضلال الناس، بالإضافة إلى الإساءة إلى الأزهر وهزّ الثقة فيه محليا ودوليا.

ب ــ يكون هذا التصريح بعد إجراء اختبارات مؤهلة وأولها حفظ القرآن الكريم، ثم ما لا غنى عنه من علوم التخصص، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث والأصول وغيرها حسب تخصص طالب التصريح.

ج ــ يُجدَّد التصريح كل ثلاث سنوات مثلا؛ حتى يحافظ المصرّح له إعلاميا ــ بوصفه أزهريا في تخصص محدد ــ على الحديث في تخصصه، وبمنهج علمي صحيح.

د ــ يمكن للأزهر إلغاء التصريح وإعلان ذلك لمن يكثر من الأخطاء العلمية، أو لمن لا يراعي الدقة والمنهج العلمي في خطابه؛ أو لمن يثير الفتن بالآراء الشاذة حبًّا في الشهرة والظهور.

٤. ممن يقوم بالخطاب الديني مشايخ جماعات دينية ــ ترى في نفسها أنها تمثل الإسلام الصحيح ــ لهم اتجاهات فكرية خاصة بهم؛ ولا يثقون علميا بالمؤسسات الدينية العريقة في التعليم والتعلم والبحث في العلوم الإسلامية إذا كانت لا تتفق مع اتجاهاتهم الفكرية، وتختلف هذه الجماعات في الخطاب الديني بين الاعتدال والتطرف.

ــ ويمكن التقليل من أثر هذه الجماعات إذا تم الاهتمام بمقرر التربية الدينية الإسلامية ــ في مراحل التعليم المختلفة ــ من حيث المحتوى، وإضافة درجاته في المجموع الكلي لدرجات الطالب في سنوات النقل على الأقل؛ ليهتم الطلاب بالمقرر؛ ويُحصّلوا معلومات دينية تحصنهم وتقيهم من أي فكر ضال؛ يستغل أصحابه الفراغ الديني عند الطلاب ليلقنوهم فكرهم.

٥. ممن يقوم بالخطاب الديني أيضا ــ إعلاميون، ومن يسمون أنفسهم مثقفين أو مفكرين وهم غير متخصصين في أي علم من العلوم الإسلامية دراسة أو بحثا وفقا للأسس العلمية، ويتمحور خطابهم في معاداة الدين والعلوم الدينية والعلماء؛ لهوًى منهم أو لجهل، ويقوم أكثرهم بتكرار شبهات وطعون قديمة نقلا من كتب بعض المستشرقين؛ وقد ينفرد أحدهم ببرنامج تليفزيوني لتوجيه ضلالاته للمشاهدين دون أن يستضيف أحد المتخصصين لمناقشته فيما يطرحه من أفكار خاصة به وبفهمه هو.

ــ ولتلافي ما يمكن أن يضلل الناس بلا علم فإنه يمكن اتخاذ إجراءات تضاف لتنظيم الإعلام حرصا على تناول الأمور العلمية عموما في الإعلام بمنهج علمي وموضوعية (في الطب مثلا أو في الدين أو الزراعة أو الهندسة ... وغيرها) بوجوب استضافة متخصص على الأقل فيما يُعرض في أي برنامج حفاظا على المصداقية والإفادة العلمية.

النقطة الثانية: منابر ووسائل نشر الخطاب الديني:

١. **التعليم:** يعد التعليم هو أكبر مجال لنشر الخطاب الديني نظرا لكون التربية الدينية مادة أساسية مقررة في جميع مراحل التعليم([1]) قبل الجامعي على الجيل الناشئ الذي يمثل

---

١) وفقا للمادة (٦) من قانون التعليم المصري ونصها: " التربية الدينية مادة أساسية في جميع مراحل التعليم، ويشترط للنجاح فيها الحصول على ٥٠% على الأقل من الدرجة المخصصة لها، على ألا تحسب درجاتها ضمن

مستقبل الوطن؛ ومع هذا فإن عدم احتساب درجة هذه المادة في المجموع الكلي للطلاب يؤدي إلى قلة الاهتمام بها وقلة تحصيلهم لمحتواها؛ مما يؤدي إلى الفراغ الديني عند الطلاب، ويعرضهم للتأثر بالأفكار الضالة والهدامة من مصادر المعرفة التي تجذبهم على الإنترنت، ومن الجماعات الضالة الخارجة عن صحيح الدين ووسطيته.

ـ لذا وحلاً لهذه المشكلة ولبناء المواطن الصالح النافع لمجتمعه ووطنه وأمته، القادر على التصدي لأي أفكار ضالة، والمحصن من الانقياد وراء جماعات ضالة مخربة ـ يمكن عمل ما يأتي:

أ ـ اتخاذ الإجراءات اللازمة لجعل درجة مادة التربية الدينية في التعليم قبل الجامعي ضمن المجموع الكلي لدرجات الطلاب في سنوات النقل حتى يزيد الاهتمام بالمقرر مثل باقي المقررات التي تحتسب في المجموع، ويترسخ لدى الطلاب تعاليم الدين من خلال موضوعات العقيدة والعبادات والمعاملات، بالإضافة إلى دراسة الردود على الأفكار الضالة والمتطرفة حتى يتحصن الطلاب بالوعي والمعرفة الصحيحة. أما بالنسبة للشهادات (الثالث الإعدادي والثالث الثانوي) التي يترتب على المجموع فيها تنسيق للالتحاق بالمستوى الأعلى فلا تضاف الدرجة للمجموع الكلي مع اقتراح جعل درجة النجاح في مقرر التربية الدينية ٦٠ % على الأقل.

ب ـ إضافة مقرر الثقافة الدينية في الجامعات ضمن متطلبات الجامعات، باعتباره مطلبا قوميا يعزز قيم الهوية الوطنية والدينية والأخلاقية وحسن معاملة الغير، والتسامح وتقبل الآخر، والإيجابية في المجتمع، والتكافل الاجتماعي، والدفاع عن الوطن، ونبذ الفساد والتخريب؛ من خلال دراسة موضوعات تحقق ذلك، بالإضافة إلى تناول موضوعات معاصرة، وتفنيد الأفكار الضالة التي تثار من أصحاب الاتجاهات الضالة سواء من المتطرفين الغلاة المكفرين أو ممن يعادون الدين ويدعون للإلحاد لخطورة هؤلاء وهؤلاء على المجتمع وأمنه، وعلى الانتماء الوطني.

ج ـ يمكن اقتراح إنشاء هيئة قومية تختص بفاعلية الدين في الأمن الاجتماعي واستقرار الوطن والحفاظ على حقوق الغير؛ تقوم باختيار موضوعات مثارة في المجتمع

المجموع الكلي" قانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ بإصدار قانون التعليم: الجريدة الرسمية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، العدد (٣٤) ٢٠ أغسطس ١٩٨١.

لتدريسها في الجامعات أو في مدارس التعليم قبل الجامعي حسب أولويات هذه القضايا كل عام دراسي على أن تضاف هذه الموضوعات في مقررات التربية الدينية أو الثقافة الدينية للتعامل معها في وقتها بمنظور ديني (مثل: موضوعات الأمراض والأوبئة، والمسئولية الدينية على كل مواطن في الوقاية والمحافظة على الآخرين، والتنفير من البلطجة والاعتداء على الغير، والترهيب من احتكار السلع في وقت الأزمات، والترهيب من المخدرات بأنواعها، والتصدي للشائعات، وللإرهاب والتخريب ... إلخ) ويكون محتوى المادة العلمية ــ في مثل هذه الموضوعات العاجلة ــ مختصرا ومباشرا، ويتم نشره على الإنترنت من خلال نصوص مكتوبة و محاضرات فيديو مسجلة أو مباشرة.

٢ ــ وسائل الإعلام المختلفة:

وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تعد من الوسائل الشائعة في توجيه الخطاب الديني وإن كانت البرامج التليفزيونية هي أقواها انتشارا؛ لأنه يتم نشر أجزاء مسجلة من بعض الحلقات على وسائل التواصل الاجتماعي أو في التطبيقات على الإنترنت.

ــ وحرصا على الحق والحقيقة واحتراما لحق المخاطبين؛ فإنه ينبغي اتباع الشفافية والمصداقية فيما يُقدَّم من خطاب ديني للمشاهدين باتباع نظام موضوعي لمناقشة ما يعرض في هذه البرامج من أفكار وآراء؛ بأن يتم تحديد نقاط الموضوع الذي يراد عرضه ودعوة متخصص أكاديمي أو أكثر حتى تعرض الموضوعات بأدلتها بمنهج علمي، لا أن يُترك أمر الخطاب الديني لعبث كل من تأتيه فكرة لا أصل لها ولا دليل، أو تدفعه مصالح شخصية أو حب للظهور والشهرة أو هوى نفس للطعن في الدين، ونشر ضلاله على الناس.

٣ ــ شبكة الإنترنت:

تعد شبكة الإنترنت بما تتضمنه من وسائل التواصل الاجتماعي أو مواقع دينية أو قنوات لأشخاص على تطبيقات الإنترنت، أو برامج إلكترونية من أوسع الوسائل انتشارا في الواقع المعاصر بين جميع الأعمار، وتتضمن مواد مكتوبة، أو ملفات صوتية، أو فيديوهات وهي الأكثر انتشارا.

لذا ومجاراة لاهتمام الناس في متابعة الإنترنت وما ينشر عليه، وللرد على كل ما ينشر من ضلالات يمكن عمل الآتي:

أـــ إنشاء مركز يتبع مؤسسة دينية رسمية مثل الأزهر أو الأوقاف أو دار الإفتاء لمتابعة ما يعرض على وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة والقنوات على الإنترنت، ثم الرد على أى مغالطات أو ضلالات في فيديوهات قصيرة بالدليل والحجة القوية بشكل مبسط وجذاب.

ب ـــ نشر هذه الردود على المواقع الإلكترونية الرسمية لهذه المؤسسات الدينية، وتؤخذ روابط هذه الردود من تلك المواقع الرسمية وتنشر على وسائل التواصل الاجتماعي، وفي قنوات مخصصة لهذا على الإنترنت تتبع هذه المؤسسات الدينية.

خـــاتمة

مما سبق وما تم استعراضه من نقاط، نخلص إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولا: النتائج:

أ ـــ من خلال هدايات القرآن الكريم تم استنباط عدد من الأسس للخطاب الديني الصحيح هي:

١. التسليم بحق المخاطب في الاختيار؛ لأن الله خلق الإنسان كائنا مختارا. وعليه فإنه لا بد من تمكينه من حق الاختيار؛ لأنه يترتب عليه حسابه ومجازاته في الآخرة.

٢. التسليم بأن الاختلاف بين الناس طبيعة جعلها الله فيهم، وهذا الاختلاف ملازم لوجودهم، وعليه فإنه لا بد من تقبل الإنسان المسالم، وحسن معاملته؛ وإن اختلفت عقيدته.

٣. أن مهمة القائم بالخطاب الديني ـــ تنحصر في البلاغ المبين فقط؛ وعليه فإنه ليس عليه ضمان قبول المخاطب للهدى.

٤. أن حساب الناس ومجازاتهم على أعمالهم في الدنيا ـــ على الله وحده في الآخرة؛ وعليه فإنه ليس لمن يقوم بالخطاب الديني محاسبة من يرفض قبول الخطاب.

٥. الاعتماد على القرآن والسنة في الخطاب الديني لأنهما مصدر الدين ومرجعيته؛ وعليه فإنه لا بد من التمسك بهما واتباعهما وعدم مخالفتهما، والدعوة بما فيهما.

٦. التمسك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الخطاب الديني؛ وعليه فإنه لابد من الإيجابية والتفاعل مع الأحداث بالأمر بما يوافق الشرع والنهي عما يخالفه؛ ليأمن المجتمع ويصلح.

٧. القيام بالتذكرة والوعظ والإنذار بالقرآن الكريم؛ حتى لا تنقطع صلة المخاطب بالدين وهداياته، ويبقى عنده الوازع الديني الذي يؤدي إلى صلاحه؛ فيعود هذا بالنفع العام على المجتمع.

٨. تنوع الخطاب الديني بما يناسب كون الإسلام دعوة عالمية للناس كافة إلى دين الله.
٩. أن يكون القائم بالخطاب الديني عالما فقيها فيما يوجهه من خطاب، مع عدم إغفال جهود العلماء السابقين المؤيدة بالدليل والحجة القوية.
١٠. الحث على التدبر والتفكر وإعمال العقل، فيما يتعلق بالدين، وعدم إغفاله؛ ونبذ التقليد الأعمى.
١١. التبشير والتيسير في الخطاب الديني وعدم التنفير والتعسير.
١٢. فتح باب الأمل لمغفرة الذنوب والمعاصي للعصاة بالتوبة، وللكفار بالانتقال من الكفر إلى الإيمان.
١٣. قبول الآخر ــ غير المسلم ــ وبرُّه وحسن معاملته إلا إذا اعتدى على الإسلام والمسلمين.

ثانيا : التوصيات

١. الاهتمام بمادة التربية الدينية في المدارس باتخاذ الإجراءات اللازمة لاحتساب درجة مادة التربية الدينية ضمن المجموع الكلي للمواد في سنوات النقل، أما في سنوات الشهادات (الصف الثالث الإعدادي والثالث الثانوي فقط) فلا تضاف الدرجة للمجموع الكلي مع جعل نسبة النجاح في المادة ٦٠%.
٢. تيسير شرح تعاليم الدين الإسلامي بأسلوب مبسط مؤيد بالأدلة في المناهج الدراسية في مرحلة التعليم قبل الجامعي، مع عرض أبرز الشبهات التي تثار ضد الإسلام والرد عليها بالأدلة والحجج الدامغة في مقررات الصفوف العليا من المدارس؛ وفي الجامعات لتحصين الجيل الناشئ من الأفكار الهدامة أو المتطرفة، وهذا استثمار وطني يمنع خسائر التخريب، ويوقف ما يهدر من أموال لمحاربة الإرهاب، ويوجه جهود الشباب للبناء والحفاظ على الوطن والدفاع عنه بعقيدة تجعله يضحى بنفسه في سبيل الوطن بدلا من أن يكون عنصر هدم ومخربا لوطنه.
٣. عدم تناول وسائل الإعلام مناقشة الأمور الدينية إلا بحضور متخصص أكاديمي في الموضوع الذي تتم مناقشته؛ لعرض حقائق الدين، وللرد على أي شبهة أو تساؤل أو أي فكر ضال لا يستند إلى علم صحيح؛ حفاظا على المجتمع من إثارة الفتن بين أفراده، وحتى لا يستغل أصحاب الفكر المتطرف الهجوم على الدين في الإعلام في استقطاب الشباب بحجة الدفاع عن الدين، ثم استخدامهم ليكونوا أدوات للقتل والتخريب.

٤. إصدار تعريف شامل للإسلام بأسلوب مبسط ومختصر، مقترنا بالأدلة، مع ذكر الحكمة في التشريع ما أمكن، واستخدام الوسائل الميسرة للفهم باللغة العربية، وترجمة هذا التعريف بالإسلام إلى اللغات الأكثر استخداما في العالم؛ تحت إشراف مؤسسات علمية رسمية متخصصة في العلوم الإسلامية.

٥. جمع الشبهات التي تثار وتتكرر من خصوم الإسلام، مع تفنيدها بالأدلة القوية والحجج الدامغة، وصياغتها بشكل مبسط من خلال مركز مختص بهذا؛ تابع لمؤسسة دينية إسلامية بالتعاون مع المؤسسات العلمية المتخصصة، ثم نشرها بصور متعددة: مكتوبة، ومرئية، وعلى قنوات على الإنترنت، وفي برامج حاسوبية، وعلى المواقع الإلكترونية للمؤسسات الدينية، وتيسير البحث عنها على الإنترنت، مع ترجمتها إلى اللغات الأكثر استخداما في العالم.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع

١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ)، ط. خامسة، دار عطاءات العلم (الرياض)، ط. أولى، دار ابن حزم (بيروت)، ١٤٤١ هـ ـ ٢٠١٩م.

٢. **تأصيل تجديد الخطاب الديني ومجالات التجديد في ضوء القرآن الكريم:** عبدالرحمن عبدالغني الجمل، مجلة تطوير الأداء الجامعي، جامعة المنصورة، المجلد(٢٢) العدد(١)، الرقم المسلسل للعدد(٣٥)،أبريل ٢٠٢٣.

٣. **تأويل مشكل القرآن:** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٤. **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه:** يحيى بن سلام (ت:٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

٥. **تفسير القرآن العظيم:** إسماعيل بن عمر بن كثير(ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. ثانية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٦. **تفسير القرآن العظيم:** علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: د. موسى علي موسى، و د. أشرف محمد القصاص، دار النشر للجامعات، ط.أولى، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٧. **تفسير المراغي:** أحمد بن مصطفى المراغي(ت:١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط. أولى، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م
٨. **التفسير الواضح:** محمد محمود حجازي، دار الجيل، بيروت، ط.(١٠)، ١٤١٣هـ
٩. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم:** مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط. أولى، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
١٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، دار هجر للطباعة والنشر، ط. أولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
١١. **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. ثانية، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
١٢. **الحديث والمحدثون:** محمد محمد أبو زهو، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ط. أولى، ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨م.
١٣. **سنن ابن ماجه:** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت:٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٤. **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنئوط ، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط. أولى،١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
١٥. **سنن الترمذي:** محمد بن عيسى بن سَوْرة، الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط. ثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
١٦. **صحيح ابن حبان(المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها):** أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت:٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم ـ بيروت، ط. أولى، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
١٧. **صحيح البخاري:** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت:٢٥٦ هـ)، تحقيق:د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة ـ دمشق، ط. خامسة، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.
١٨. **صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م (تصوير دار إحياء التراث العربي،بيروت)

١٩. **صفوة التفاسير:** محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط.أولى، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.
٢٠. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ:** أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، السمين الحلبي (ت:٧٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، ط. أولى،١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م.
٢١. **غريب القرآن:** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.
٢٢. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، ترقيم:محمد فؤاد عبدالباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٣. **فتح البيان في مقاصد القرآن:** محمد صديق خان، الحسيني البخاري القِنوجي (ت:١٣٠٧هـ)، المَكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.
٢٤. **فتح الرحمن في تفسير القرآن:** مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت:٩٢٧هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ط. أولى، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.
٢٥. **قانون رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ بإصدار قانون التعليم:** الجريدة الرسمية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، العدد (٣٤) ٢٠ أغسطس ١٩٨١.
٢٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:** أبو القاسم محمود بن عمر، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ثالثة، ١٤٠٧هـ .
٢٧. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:** أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ــ محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة ــ بيروت.
٢٨. **لباب التأويل في معاني التنزيل:** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط.أولى، ١٤١٥ هـ.
٢٩. **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الإفريقي(ت:٧١١هـ)، دار صادر ــ بيروت، ط. ثالثة، ١٤١٤هـ .
٣٠. **محاسن التأويل:** محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط. أولى ١٤١٨هـ.

٣١. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى١٤٢٢هـ.
٣٢. **المستدرك على الصحيحين:** أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى،١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٣. **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** الإمام أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، تحقيق:شعيب الأرنئوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط. أولى، ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م.
٣٤. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي):** الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط. أولى،١٤٢٠هـ.
٣٥. **معانى القرآن للأخفش:** الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. أولى، ١٤١١هـ ـ١٩٩٠م.
٣٦. **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم أنيس وآخرون)، ط. ثانية، ١٩٧٢م.
٣٧. **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٣٨. **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير):** فخر الدين الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر(ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. ثالثة١٤٢٠هـ.
٣٩. **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق، بيروت، ط. أولى، ١٤١٢هـ .
٤٠. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. ثانية، ١٣٩٢هـ.
٤١. **النهاية في غريب الحديث والأثر:** مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير، ط. المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٤٢. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: د.أحمد عبدالغني الجمل، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. أولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.